الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي
موسومة ب:

منهجية الكتابة التاريخية عند ابن أبي زرع الفاسي من خلال كتابي: الذخيرة السنية، والأنيس المطرب.

إعداد الطالبين:
صديقي نصيرة.
صديق بن حليمة .

إشراف الأستاذة:
بوجمعة طيب نعيمة .

الأستاذ، د:بوخاري عمر ..... رئيسا
الأستاذة: سموم لطيفة ..... مناقشا
الأستاذة: بوجمعة طيب نعيمة.....مشرفا

السنة الجامعية
1436 -1437 هـ/ 2015 -2016م

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ "

الآية 105 :سورة التوبة.

إهداء

أهدي عملي هذا الى الوالدة الكريمة وألى كل العائلة ، وكافة الزملاء وطلبة التاريخ، والى أساتذة وموظفي جامعة ابن خلدون.

صديقي نصيرة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى الوالدين الكريمين

وكافة العائلة

كما لا أنسى زملائي: صديقي نصيرة، وإبراهيم

ومحمد، وأحمد، والسعيد، وعلي وعبد القادر

وإهداء خاص إلى: مريم، حسيبة، أمينة، آسيا، بختة،

وبخاصة: سعيدة.

وإلى روح الأستاذة سعدو التالية رحمها الله،

صديق بن حليمة

شكر وتقدير

الشكر أولا وأخيراً لله، على توفيقه، وكرم عونه،
بأن وفقنا لإنجاز هذا العمل، بعد أن يسّر العسير، وذلّل الصعب،
كما يجدر بنا أن نتقدم ببالغ الامتنان، وجزيل العرفان
إلى الأستاذة المشرفة: لصيب بوجمعة نعيمة،
على حسن إرشادها لنا في كل مراحل هذا العمل
والذي وجدنا في توجيهاتها حرص المعلم، التي تؤتي
ثمارها الطيبة بإذن الله...
ونتمنى من الله عز وجل أن يجعل ذلك
في موازين حسناتها، وشكر موصول إلى الأستاذ: بخاري عمر،
والأستاذة: سموم لطيفة

قائمة المختصرات:

هـ :هجري

م :ميلادي

ص **:**صفحة

ص ص :من الصفحة كذا إلى الصفحة

مر :مراجعة

د ت :دون تاريخ

د ط :دون طبعة

د د ن :دون دار النشر

د ب :دون بلد

ج :جزء

تق :تقديم

تح :تحقيق

تر :ترجمة

ع :العدد.

ع ص :عدد الصفحات

تع :تعليق

ت :توفي

مج :مجلد

(...): نص مستقطع /كلام محذوف

// // : نفسه

مقدمة

إنّ التدوين للتاريخ الإسـلامي كان في بداياته الأولى مع مؤرخي المشـرق الاسـلامي، ومردّ ذلك الى بدء الحضـارة الإسـلامية في المشـرق الإسـلامي قبل المغرب، وبتطور الكتابة التاريخية عند المشـارقة تطورت أيضـا في المغرب الإسلامي عبر تداول العديد من الدول عليه بداية بالفتح الإسلامي للمغرب وصـــولا إلى الدولة الموحدية، والتي تعّد عصـــارة الإنتاج الحضـــاري والفكري للمغرب الإســـلامي وقد تحددت مناهج الكتابة التاريخية في بلاد المغرب الإســـلامي وأصـــبحت واضـــحة بظهور ابن خلدون واتبعاه لطريقة جديدة في طرح المادة التاريخية، وارتكزت على مبادئ وأســـس من خلال كتابه ديوان المبتدأ والخبر.

وركز الكثير من المؤرخين في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط في مؤلفاتهم على تتبع منهجية معينة في تدوينهم للحوادث التاريخية، فالكتابة عن المغرب الإســـلامي كانت في البداية مع المشـــارقة مثل: كتاب النسـب الكبير والجمهرة في الأنسـاب لابن الكلبي، وفتوح افريقية للواقدي وغيرهم، وسـيرا على هذه المؤلفات بدأ التدوين في المغرب الإسلامي.

ويعدّ العصـــر الموحدي عصـــر الكتابة التاريخية بامتياز في المغرب الإســـلامي ببروز العديد من المؤرخين، وقد واصل بنو مرين ما كان عليه أسلافهم في الاهتمام بالتأليف وحركة التدوين وتشـجعيهم لها، وبرز العديد من المؤلفين والمؤرخين وبخاصـــة في نهاية العصـــر الموحدي وبداية العصـــر المريني، من بينهم ابن خلدون وابن عذارى المراكشـي وعبد الواحد المراكشـي، وابن أبي زرع الفاسـي، هذا الأخير الذي اتبع منهجية معينة في كتابيه " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وتاريخ مدينة فاس** " و" **الذخيرة السـنية في تاريخ الدولة المرينية** "، والتي تحتاج إلى جانب من الدراسـة والبحث سـيما الكشف عن حركة التدوين في العهد الذي عايشه ابن أبي زرع وعن منهجيته في الكتابة وطريقة طرحه للمادة التاريخية واستعراضه لاهم المصادر التي تعرض لها في مؤلفاته وبذلك جاءت دراستنا معنونة بـ: " **منهجية الكتابة عند ابن أبي زرع الفاسي** " من خلال كتابيه المذكورين آنفا.

وكان اختيارنا للموضـوع عن اهتمام ورغبة منا بالإحاطة والالمام بشـخصـية هذا المؤرخ والتعرف على هويته التي ينتابها الغموض، والكشـــف عن المنهج التاريخي الســـائد والمتبع في تلك الفترة الزمنية، ومحاولة الوقوف على أسـاليب ومنهجية الكتابة التاريخية خلال العصـر الوسـيط وبالضـبط في العهد المريني، وإبرازها وخاصة لدى ابن أبي زرع وتسليط الضوء على هذا النوع من الأبحاث.

وللكشـف عن شـخصـية ابن أبي زرع ومنهجه في الكتابة، وفي طريقة تناوله للمادة التاريخية وجدنا أنفسنا أمام إشكالية رئيسية وهي: ما مدى تأثر ابن ابي زرع بالوضع السياسي والاجتماعي والثقافي للعصر المريني، وماهي المنهجية المتبعة لديه في استعراضه للمادة التاريخية وانضوت تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية، وهي:

- بماذا امتازت الكتابات التاريخية في العصر الوسيط.
- ما مدى تأثر ابن أبي زرع بالحالة السـياسـية والثقافية والفكرية وهل كان لها انعكاس على تكوينه الشخصي والعلمي.
- ما هي الطريقة والأسـلوب المتبع في الكتابة عند ابن أبي زرع ولماذا اختص بالتأريخ للدول التي تعاقبت وخاصة المغرب الأقصى ومدينة فاس.

واعترضتنا صعوبات في إنجاز هذه الدراسة ومن جملتها ندرة وقلة المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع، وقد اعتمدنا في انجاز هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي بالإضافة الى المنهج التحليلي حيث فسرنا ما يحتاج التفسـير وأبدينا بعض الملاحظات، كما وظفنا المنهج المقارن أين قارنا بين بعض الروايات التاريخية سيما بين كتابي **الأنيس المطرب** و**الذخيرة السنية**.

وللإجابة على هذه التساؤلات جاءت خطة بحثنا على النحو التالي: مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، تطرقنا في المدخل إلى تطور الكتابة التاريخية، وتتبع حركة التأليف والتدوين في المغرب الإسلامي، وركزنا على أواخر العصر الموحدي وبداية العهد المريني، واللّذان يمثلان الفترة التي عاشها ابن أبي زرع.

وبالنسبة للفصل الأول الذي جاء تحت عنوان ترجمة ابن ابي زرع وعصره، واندرج تحته ثلاث مباحث الأول بعنوان عصر ابن ابي زرع واشتمل على الوضع السياسي لدولة بني مرين في عصر مؤرخنا، وأهم السلاطين الذين عاصرهم ودراسة الوضع السياسي العام مع الدول الإسلامية المجاورة وعلاقاتهم بهم كدولة بني الأحمر بغرناطة والزيانيين بالمغرب الأوسـط والحفصـيين بالمغرب الأدنى ومدى تأثر العلماء بالوضع السياسي، ثم الحالة الاجتماعية وطبقات المجتمع المريني بالإضافة الى الوضـع الفكري والثقافي وعالجنا فيه الحركة الفكرية في ذلك العصـر وتأثر ابن أبي زرع بها ودوره فيها، والمبحث الثاني اشتمل على سيرته الذاتية من مولده وتسميته واختلاف المؤرخين وأصحاب

التراجم في ذلك، كما ورد الحديث عن أسرته ودورها في تكوينه، والمذهب الذي كان عليها ابن أبي زرع، والمبحث الثالث الذي عالج ســـيرته العلمية من حيث تعليمه وشـــيوخه وآثاره المتمثلة في المؤلفات التي خلفها وتلامذته وأهم الصفات التي اتصف بها واخلاقه، وأخيرا مكانته العلمية ورأي المؤرخين فيه.

أمّا الفصل الثاني فجاء تحت عنوان منهجية ابن أبي زرع في الكتابة التاريخية واحتوى هو الأخر على ثلاث مباحث، الأول قدمنا فيه كتاب الأنيس المطرب وعدد صفاحاته وأجزائه، وتبويبه واسمه الكامل، ثم انتقلنا الى الكتاب الثاني الذخيرة السنية واتبعنا نفس مراحل دراسة الكتاب الأول، مع ذكرنا لكتابه المفقود " **زهرة البســـتان في أخبار الزمان وذكر الموجود مما وقع الوجود** " وفي المبحث الثاني عرجنا فيه على أوجه التشابه بين الكتابين وإعطاء أمثلة من كل كتاب، وفي المبحث الثالث قمنا بمعالجة منهجية الكتابة لدى ابن أبي زرع من خلال كتابيه **الأنيس** و**الذخيرة** ثم تطرقنا الى محتويات الكتابين كل على حدى وكيفية معالجته للأوضاع السياسية والتي اهتم بها بشكل كبير مع ذكره للجوانب الاجتماعية والثقافية والعمرانية .. الخ.

وتم الاعتماد في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المكملة والتي توافقت أهميتها:

- **"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـــرهم من ذوي الســلطان الأكبر"، لابن خلدون عبد الرحمن:** (ت808هـ/1406م) يتكون الكتاب من سـبعة أجزاء، الجزء الأول عبارة عن "**المقدمة**"، وفي موضوعنا اعتمدنا بالدرجة الأولى على الجزء السابع الذي تناول فيه التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي نهاية العصر الموحدي وبداية العصر المريني، الذي افادنا في الحديث عن الاوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية بالمغرب الأقصى وبالضبط بمدينة فاس، وافادنا أيضا في التعرف على المنهجية المتبعة في ذلك العصر لأنه يعد اول مؤرخ وضع أسس للمنهج التاريخي في المغرب الإسلامي.

- **" نيل الابتهاج بتطريز الديباج " لأحمد بابا التمبكتي** (ت1036هـ/1627م)، احتوى هذا الكتاب على ترجمة ثمانمائة وثمانية ترجمة لشـــخصـــيات من المذهب المالكي وقد اعتمد في ترتيبهم تاريخ الوفاة وهو ذو قيمة علمية هامة اعتمدنا عليه في التعريف بالعديد من الشـخصـيات وبخاصـة التي عاصـرت

ابن أبي زرع ســـواء في الدولة المرينية او الدول الأخرى التي عاصـــرتها في نفس الفترة مثل الزيانيين والحفصيين.

ومن المراجع التي تم الاعتماد عليها في هذه الدراســة كتاب "**ذكريات مشــاهير المغرب في العلم والأدب والسياسة**" لـــ: "**عبد الله كنون**"، هذا الكتاب جاء ملما تقريبا بكل علماء وفقهاء وادباء المغرب الأقصـى في جميع المجالات السـياسـية والأدبية والعلم وقد أفرد فيه جزء تحدث فيه عن ابن أبي زرع وإلى كل من تطرقوا إلى دراسـة شـخصـيته من قبل بالإضـافة الى تخصـيصـه لجزء عن الحديث عن مقارنته بين كتابي الانيس المطرب والذخيرة، بالإضــافة إلى مجلتي "**دعوة الحق**" المغربية لنفس الكاتب، ومجلة "**الأصــالة**" في مقال لمحمد بوعياد تحت عنوان من **آثارنا المغمورة** والذي أراد فيه الكشــف عن شــخصــية ابن ابي زرع الفاســي بما توفر من مادة حوله، وزمامة عبد القادر في **مجلة المناهل** في مقال بعنوان: **في تحليل مصـــادر تاريخنا ابن أبي زرع**، والظريف محمد في **مجلة تاريخ المغرب** في مقال تحت **عنوان طريقة التأليف عند المغاربة في العصر الوسيط**.

وبالنسبة للدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع لم نكد نعثر إلّا على كتاب عبد الله كنون المذكور آنفا والمقالين المنشورين في مجلتي دعوة الحق والأصالة.

وختمنا بحثنا هذا حوصلة جاءت على شكل استنتاجات حول موضوع الدراسة.

مدخل

مناهج الكتابة التاريخية عند المسلمين.

كتب ابن خلدون عن التاريخ فقال "، اعلم أنه لما كانت حقيقة التأريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنسـاني، الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب، والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة الأحوال.[1]

لذلك عندما سارت البشرية، قدما في مضمار الحضارة في شتى أساليبها وصورها، رويدا رويدا أخذ التاريخ يشكل أساسا جوهريا في تسجيل موكب البشرية الحافل الدؤوب، إذ هو المرآة أو السجل أو الكتاب الشـامل الذي يقدم لنا ألوانا من الأحداث وفنونا من الأفكار وصـنوفا من الأعمال والآثار.[2]

فالتأليف في كتابة تاريخ أمة أو فترة خاصـة، لا يعني إلا شـيئا واحدا هو، إظهار تطور الفكرة التاريخية لدى مؤرخي تلك الفترة أو الأمة، وتطور معالجتهم العلمية وكذلك وصف أصول صور التعبير الأدبي ونموها أو انحطاطها، تلك الصـور التي اسـتعملت لعرض المادة التاريخية.[3] وعلى هذا الأسـاس يمكننا القول، بأن تطور مناهج الكتابة التاريخية عند المسـلمين، جاء متزامنا مع تطور المجتمعات الإسلامية، بحيث فرض التحول الاجتماعي عبر الأزمنة، تغيرا في طريقة الكتابة التاريخية.

يرتبط الحديث عن مناهج المسـلمين في كتابة التاريخ الاسـلامي، بالحديث عن تدوين التاريخ والهدف منه، فمن المعلوم أن البداية كانت بتدوين السير والمغازي النبوية، بحسب إتباع منهج الإسناد القائم على منهج الجرح والتعديل، ولذا فإنه يمكننا القول بأن علم التأريخ قد نشـأ بفضـل علوم

[1] - ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000، ج:07، ص:76

[2] - حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط:8، دار المعارض، القاهرة، د: س، ص:13

[3]- فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي، ط: 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ-1973م، ص:9

الحديث، وأعطاها دفعا حيث أخذ من تلك العلوم، أدوات النقد واستخدمها لضبط الأخبار التاريخية، منذ أن برزت الرغبة في تدوين الأخبار في منتصف القرن الثاني للهجرة.

ولعل أحسن مثال للكتابات الأولى في تاريخ الدولة الإسلامية، هو كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري [1]، الذي ذكر فيه ملوك الأرض من لدن آدم عليه السلام إلى انقضاء ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أيرويز، وذكر من ملك من ملوك قحطان و ملوك الروم و ملوك الترك في كل عصر وأوان، وذكر الأئمة والخلفاء والحروب التي كانت، فوجه فيها عناية خاصة إلى المسائل التي يهتم بها الفرس اهتماما شديدا، وأمدنا أخبار مفصلة عن تاريخ الإسكندر و دولة الساسانيين و فتوح العراق وما وقع بين علي ومعاوية وأخبار الخوارج ومقتل الحسين، وفتن الأزارقة وسقوط الأمويين ومكائد العلويين خاصة في خراسان أثناء تناوله تاريخ الخلفاء، وأراد بالأخبار الطوال الأحداث البارزة في التاريخ[2]

ثم جاء الطبري، وأسبغ على كتابه تدقيق المتكلمين وعطائهم ومناهجهم، واتبع في تنظيمه الترتيب الزمني وسار على منهج الحوليات، وأصبح يعتبر نموذجا للكتابة التاريخية في ذلك الحين أي نهاية القرن الرابع الهجري، فبدأ هو أيضا بمقدمة عن الكون والزمان، ثم انتقل إلى التأريخ للبشرية منذ هبوط آدم إلى الارض وجعل تاريخ الأنبياء هو المنطلق لتاريخ الإنسانية، فيذكر النبي ومن يعاصره من الأمم والملوك، وقد أعطى الطبري[3]، معلومات واسعة عن التاريخ الفارسي وعقد مقابلة بين تاريخ مدة أيامهم وأيام تاريخ بني إسرائيل، أما القسم الثاني فخصصه لتاريخ المسلمين ورتب حوادثه على النظام

---

[1]- الدينوري أبو حنيفة أو أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري نسبة إلى دينور وهي بين همذان وكرمنشاه في إيران، كان نحويا ولغويا وفلكيا وكان راويا للحديث، له كتاب النبات وكتاب الأنواء وفي التاريخ كتاب الأخبار الطوال، توفي سنة 282هـ-891م، ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب أرنؤوط وعلي أبو زيد، ج:13، ط:9، مؤسسة الرسالة، بيروت،1413هـ-1993م، ص:422

[2]- أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري، الأخبار الطوال، تص: فلاديمير جرجاس، ط:1، مطبعة مربل، لندن 1888م، ص: 2

[3]- الطبري جعفر محمد بن جري ربن يزيد بن كثير بن غالب الأملي البغدادي، ولد سنة 224 هـ وتوفي ببغداد سنة 310هـ، **ينظر**، الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب أرنؤوط وأكرم البوشي، ج:14، ط:1417،11هـ-1996م، ص: 272.

الحولي، ابتداء من السنة الأولى الهجرية حتى سنة (302هـ/914م)، ويختلف حجم الحوليات لديه بحسب كثرة وقوع الحوادث[1].

ولم يلبث المؤرخ بعد انتشار التدوين في القرن الثاني الهجري أن تحرر تدريجيا من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد إخباري، أي ناقل للخبر إلى الكتابة، ثم تأتي فترة أوائل القرن الخامس الهجري، حيث شهدت توقفا نسبيا للتجربة التاريخية، التي تم سد فراغها بتاريخ عالمي في اللغة العربية، وهو كتاب المنتظم لابن الجوزي، الذي أدخل فيه تقسيما فاصلا بين الحوادث والوفيات، وهو يشتمل على جميع الأخبار المطلوبة لمن يفتقدون الوقت أو الصبر على دراسة المصادر الاولى.

أظهر المؤرخون بعد هذه الفترة، الابتعاد عن الالتزام بالأسلوب التاريخي إلى الأسلوب الأدبي باستخدام أسلوب بسيط سهل، والتزموا بمنهجين في كتاباتهم، الأول منهج التاريخ الحولي أو التاريخ حسب السنين، والثاني المنهج الموضوعي أو منهج التاريخ حسب الموضوعات، أما منهج التاريخ الحولي، فهو منهج يقوم على تجميع ما اختلف من الحوادث في كل سنة، والربط بينها بكلمة "وفيها" أي في السنة وذلك من أول حدث وقع فيها إلى آخر يوم منها، حتى إذا انتهت حوادثها انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية، وذلك باستخدام جملة بدلا عن كلمة، ثم" دخلت سنة كذا" أو "جاء في سنة كذا" .

[1]- محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الاسلامي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1429هـ، ط:1، ص-ص:478إلى482.

ليأتي الذهبي بعدها ويدخل في كتابه "تاريخ الاسلام" تقسيما فرعيا، تبعا للعقود من السنة الاولى إلى السنة العاشرة الهجرية، وهكذا ...وقد طبق هذا التقسيم على كل أجزاء الكتاب

وأما ما يلاحظ على هذا المنهج هو أن السنة هي التي تتحكم في الحوادث وليس الحوادث هي التي تتحكم في السنة كما يجب، ولذلك فإن السنة تشمل الحوادث المنتهية وليس كل الحوادث الممتدة فالمؤرخ الحولي، لا يذكر في سياق الحادثة التاريخية إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها.

أما ابن الأثير، فقد قدم مفهومه للتاريخ في مقدمة كتابه فقال " ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها، ويلغيها ظنا منه أن غاية فائدته إنما هو القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره[1]"، فكانت ثمرة هذه الأفكار كتاب" الكامل في التاريخ" الذي يعتبر الكتاب الوحيد الذي دوّن أخبار العالم الإسلامي وأحداثه –مشرقه ومغربه وما بينهما، على مدى سبعة قرون وربع قرن بالإضافة إلى استكمال ما نقص عند الطبري من أخبار، كما تكمن أهميته أيضا في تدوين أخبار الحروب ا لصليبية سنة (627هـ/1228م)، وايضا أخبار الزحف التتري على المشرق الإسلامي سنة(629هـ-1231م)

أشار ابن الأثير في مقدمته إلى المنهج الذي اتبعه في كتابة الكامل فقال "ورأيتهم (أصحاب مصادره) يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء، فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض، ولا تفهم إلا بعد إمعان النظر فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيئ منها في أي شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض."[2]

[1] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1407هـ-1987م)، مج:1، ص: 9.

[2] - المصدر نفسه، مج:1، ص:7

كما أدخل بتفكيره التاريخي، منهجية جديدة على الكتابة التاريخية بحيث ربط بين غارات المسيحيين في الغرب والغزو الصليبي على الشام، وربط بين تصرفات الخوارزمية السيئة وبين هزائمهم المتتالية مع التتر، كما أنه قام بتعليل الأحداث ونقدها والتعليق عليها، سواء كانت تاريخية أو سياسية أو حربية.[1]

أما ابن خلدون فقد استعرض كتب المؤرخين الذين سبقوه، فوجد لأصحابها مغالط ترجع الى أربعة أصول، وهي الثقة المطلقة برواد الأخبار والاقتصار على سرد أسماء الملوك ووصف المعارك مع الميل الى المبالغة في أعمال الملوك وأعداد الجيوش، ثم إهمال الأحوال الاجتماعية الفاعلة في سير التاريخ إما غفلة أو جهلا، وأخيرا الميل مع الهوى والمصلحة، فمنهم من يتأثر في سرد التاريخ بمذهبه الديني أو السياسي أو الاجتماعي، ومنهم من يتكسب بكتابة التاريخ فيسرده على النحو الذي يرضي الرؤساء والعظماء تقربا منهم وتكسبا، [2] لذلك قام منهجه على أسس هامة، أولها اعتبار التاريخ علم من العلوم الإنسانية وهو علم فلسفي يقوم على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها، ويقوم أيضا على دحض الأساطير ووضع القواعد اللازمة لمقارنة الحقيقة وفي الأخير إلزامية وجود النقد التاريخي.

ثم إن ابن خلدون قد عرف التاريخ بأنه " علم من علوم الفلسفة موضوعه الاجتماع الإنساني "أما أنه علم من علوم الفلسفة، فلأنه يقتضي تعليل الحوادث، وربط بعضها ببعض مع تمييز الخبر الصادق عن الخبر الكاذب والترجيح بين الأسباب، وأما عن موضوعه الاجتماع الإنساني فلأن التاريخ يجب أن يتناول وصف التطور في البيئة الاجتماعية بكل ما فيها من سياسة وحرب وصناعة وتجارة

[1] - عبد القادر أحمد طليمات، ابن الأثير الجزري المؤرخ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر،1969 م، ص:96

[2]- عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط: 4، دار العلم للملايين، بيروت،1973م، ص:706.

وعلم وفن، ومن حركات اجتماعية عامة أو دينية أو اقتصـــادية أو فكرية، من أجل ذلك وجب أن يكون المؤرخ ملما بعلوم كثيرة فإذا كان لا يعرف إلا التاريخ (رواية الأخبار) كان قاصا فقط.

وفرّق في المقدمة بين علم التاريخ أو فن التاريخ، كما يســـميه هو في ظاهره وبين فن التاريخ في باطنه، فالنوع الأول عبارة عن سرد أحداث الماضي، والكلام عن الدول المختلفة كيف قامت اتسعت وثم زالت، هو إذن التاريخ بمعناه العام، أما النوع الثاني فهو فرع من فروع الحكمة أو الفلســـفة، لأنه يبحث في أسباب الأحداث والقوانين التي تتحكم فيها.

عندما درس ابن خلدون كتب التاريخ لدى الســـابقين عليه، رآها مليئة بالأخطاء والخزعبلات، والأكاذيب، فأراد وضـــع أســـس جديدة لعلم التاريخ، حتى إذا ما اتبعها المؤرخ ســـلم تاريخه من الأخطاء[1]، وعندما بحث هذا المؤرخ عن أسباب الكذب في الخبر التاريخي، وجد أن أسبابها كثيرة، من بينها التشيعات للأراء والمذاهب أو هو ميل الإنسان إلى تصديق الخبر الذي يتفق مع رأي يعتقده أو مذهب يؤمن به دون تمحيص، أما الســـبب الثاني في رأيه الثقة بالناقلين، فيقع المؤرخ في الخطأ من حيث لا يدري ولا يقصد.

وللخروج من هذا المأزق التاريخي، يقدم غبن خلدون حلّان، الأول هو التفكر في درجة إمكان الوقائع المروية، والثاني النظر في مبلغ صـــدق الرواة، فالأمر الأول يتحقق لنا باســـتخدام علم العمران الذي وصفه وفصله لنا في المقدمة، أما الامر الثاني فيتحقق باستخدام منهج الجرح والتعديل.

يقول ابن خلدون إن تمحيص الخبر " إنما هو معرفة طبائع العمران وهو أحســـن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صـــدقها من كذبها، وهو ســـابق على التمحيص بتعديل الرواة ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأما إذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح."[2]

[1]- زينب الخضيري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1409هـ-1989م، ص:55

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص:22

وبناء على ما سبق يظهر أن موضوع التاريخ في نظر ابن خلدون، واسع جدا وهو لا ينحصر بما حدث من الفتوحات والحروب وما توالى من الدول والملوك، في الأزمنة الغابرة بل يشمل كل ما حدث من التحول، في الحياة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها وفي المؤسسات الاجتماعية على اختلاف أنواعها، فإن الأخبار المتعلقة بالأحوال الاقتصادية والصنائع والعلوم، أيضا تدخل في نطاق موضوع التاريخ.

ومن المعلوم أن، هذه النظرة الشاملة والمتوسعة في موضوع التاريخ من النظرات الخاصة بما يسمى عادة باسم (تاريخ الحضارة)، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى أن يعتبروا ابن خلدون " أول من حاول كتابة تاريخ الحضارة بمعناها الشامل.[1]

وبهذا يكون ابن خلدون، مجددا فعليا لعلم التاريخ ومتفوقا على من سبقه في هذا المجال[2]، بأن أرسى قواعد متينة لعملية البحث العلمي، ووضع كل الشغوفين بهذا الميدان على الطريق الصحيح الذي يمكنهم من الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

[1]- ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961م، ص :264

[2] - قبل ان يدون ابن خلدون تاريخه كتب مقدمته الشهيرة التي انتقد فيها المؤرخين المسلمين الذين سبقوه وطرح منهجا تاريخيا نقديا بديلا لمنهجه يقوم على أساس جملة من القواعد يجب الالتزام بها لتحقيق الرواية التاريخية ونقدها كإرجاع الاخبار والآثار الى طبائع العمران واحواله وكذلك تحكيم العادة والقواعد الأساسية والاحوال في الاجتماع الإنساني وقياس الغائب للشاهد والحاضر للذاهب وتحكيم نظر والبصيرة في الاخبار واخضاعها للعقل من حيث الإمكان والاستحالة مع ضرورة تطابقها مع طبائع العمران ، ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص-ص:28-29

الفصل الأول

عصر ابن أبي زرع الفاسي وترجمته: (ت:741هـ/1341م)

- عصر ابن أبي زرع الفاسي.
- ترجمة ابن أبي زرع الفاسي.
- سيرته العلمية

عاش ابن ابي زرع الفاسي في كنف الدولة المرينية [1] (668هـ/869هـ-1269م/1465م)، التي حكمت المغرب الاقصى بعد زوال الموحدين (668هـ/1268م)، [2]، وقد شجعت هذه الدولة العلم والعلماء وسلكت طريق العلم منذ نشأتها، فكان العلم عاملا مهما في حياة هذه الدولة وهو ما اشتهرت به في كل حوادث عصرها، واستفادت من أغلب مجهودات ملوكها، حتى قيل: "إنهم لم يوفقوا في السياسة كما تفوقوا في نشر العلم "[3].

وإن الحديث عن العصر الذي عاشه ابن أبي زرع الفاسي يجرنا إلى التكلم عن كافة المجالات التي كانت تحيط بحياته وخاصة بأواخر الدولة الموحدية (524هـ/668هـ-1130م/1269م) [4]، وأوائل الدولة المرينية التي ورثت عن الموحدين حكم بلاد المغرب وحاولت جاهدة أن تسير على نهجهم في توحيد أقطار المغرب الإسلامي، وقد تأثرت هذه الدولة بما كان يجري حولها من أحداث سياسية وأخرى علمية وثقافية سواء على النطاق الداخلي والمحلي خاصة من حيث التركيبة الاجتماعية وأثرها في تكوين الفرد المغربي وكذلك الوضع الثقافي والسياسي على المستويين الداخلي والخارجي ومدى تأثير الدولة به و تأثرها.

1- سموا بالمرينيين نسبة الى جدهم مرين، ومن قبائل زناتة ويعدون أنفسهم اعلى حسبا وأرقى نسبا من بين القبائل البربرية، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، مقدمة الكتاب، الرباط، 1972، ط:2، ص: 15 – إبراهيم حركات، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب في عهد بني مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ع:2، الرباط ،1977 ص: 123.

2- عبد الواحد دنون طه، المصادر في تاريخ المغرب والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص:147.

3- عبد الواحد دنون طه، دراسات في تاريخ وحضارات المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004، ص:295.

4- دولة الموحدين: قامت على أنقاض دولة المرابطين (454هـ/543هـ-1062م/1148م) ويعتبر المهدي بن تومرت (ت:524هـ/1130م) الزعيم الروحي والمؤسس لهذه الدولة، وقام من بالأمر من بعده خليفته عبد المؤمن بن علي (ت:558هـ/1163م)، وذلك في سنة (524هـ/1130م)، حيث قضى على دولة المرابطين بفتح عاصمتهم مراكش (543هـ/ 1148م) – ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج:07 ص: 229 –ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص:176.

وكذلك مدى تأثر العلماء والفقهاء والمؤرخين وغيرهم وحتى الساسة والسلاطين والعامة من جراء هذه التغيرات التي طرأت على هذه الدولة في كامل النواحي والذي يهمنا هو مدي تأثر العلماء والمؤرخين بالأوضاع التي سادت الدولة المرينية وكيف استطاع ابن أبي زرع التأقلم مع هذه الأوضاع.

عصر بن أبي زرع الفاسي:

الوضع السياسي:

إن سلطة الموحدين ق ضعفت بعد هزيمتهم في موقعة العقاب [1]، (609هـ/1212م)، والسبب في ذلك إهمالهم لدورهم الديني[2]، الأمر الذي شجع القبائل المرينية على الاستفادة من هذا الفراغ السياسي، ولقد تعاقب على زعامة بني مرين أمراء كثيرون، وقد عاصر ابن زرع العديد منهم، فكان أولهم يوسف بن يعقوب المريني[3] إلى السلطان الأخير أبو عنان فارس المتوكل، ولم يكن ابن أبي زرع بمعزل عن الأحداث السياسية التي كانت تجري في ظل حكم بني مرين سواء على المستوى الداخلي أو

[1] – العقاب: موضع بالأندلس بين جيان وقلعة رباح، الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت د، ط، 1975م، ص: 416. حدثت هذه الموقعة بين الخليفة الناصر الموحدي والقوات الاسبانية بقيادة الفونسو الثامن في سنة (609هـ / 1212 م) والتي انتهت بهزيمة الناصر الموحدي وسميت المعركة باسم لاس نافلس تولاسا نسبة إلى حصول الموقعة في وديان مدينة تولوسا لان نافس تعني بالإسبانية الوديان أو الأراضي المنخفضة، احمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس.1960 الاسكندرية ص: 196

[2] – نضال مؤيد مال الله عز الدين الاعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، (685هـ706هـ/1286م/1306م)، دراسة سياسية حديثة، جامعة الموصل، 1425هـ/2004م، ص:

[3] - هو الأمير يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة ابن محمد بن ورزير بن فجوس بن جرماط بن مرين بن قيس بن عيلان بن مضر، وينسب إلى زناته يكنى بأبي يعقوب وتلقب بالناصر لدين الله .وبالأصغر وبالأمير الأسعد وأمير المسلمين يعد من اقوى سلاطين الدولة المرينية. شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: سيد جاد الحق لا ب دار الكتب الحديث مطبعة اليمني، 1966، ج:05، ص:206

الخارجي، أو حتى بالنسبة للدول المجاورة الإسلامية كبني حفص [1]، وبني زيان[2]، أو بني الأحمر بالأندلس وملوك الإسبان وحتى دول السودان الغربي والمشرق الإسلامي.

الوضع السياسي في غرناطة:

إن الحالة السياسية التي شهدها المغرب في عهد مؤرخنا، فإذا بدأنا الحديث فإن سياسة الدولة المرينية اعتمدت على ثوابت راسخة في التعامل مع مملكة غرناطة وخاصة خلال العصرين المريني الأول والثاني، أهمها:

استغلال كافة الفرص لتوجيه الحملات العسكرية تجاه الأندلس لا نجادها، وحماية مملكة غرناطة [3] من حروب الاسترداد النصرانية، سواء كان ذلك بسبب الإغاثات التي كان يوجهها ملوك بنو الأحمر في غرناطة أو تطبيقا لسنة الجهاد في سبيل الله [4].

إن البوادر الحسنة من الجانب المريني لم تلق صدى إيجابي في البلاط الغرناطي، وقد عبر بنو الأحمر عن عدم رضاه من هذه العلاقة مع المرينيين في قصيدة أرسلها السلطان يعقوب المريني [5]، لم تصل العلاقات المرينية ببني الأحمر إلى هذا الحد، بل قام الملك الغرناطي بإيعاز من بني زيان التلمسانيين بالإغارة على الحدود الشرقية المرينية من أجل إشغال بني مرين.

1- بنو حفص ينسبون الى جدهم الأكبر حفص الذي كان ذو شان في عهد الدولة الموحدية وقد استقلوا بالمغرب الأدنى بعد سقوط دولة الموحدين، روبار بنشفيك، نقله الى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1988م ج: 01، ص: 45.

2- بنو زيان: اسرة بربرية من ملوك تلمسان، حكمت المغرب الاوسط من سنة (633هـ/1235هـ-962م/1554م) ويسمون أيضا بني عبد الواد نسبة الى جدهم الأكبر، وكان اول ملوكهم يغمراسن بن زيان وهو الأشهر فيهم، عامر أحمد عبد المحسن، دولة بني مرين: تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية، 2003، ص:46.

3- غرناطة: ويقال أغرناطة وغرناطة اسم قديم يرجع الى عهد الرومان القوط، ويعود سبب هذه التسمية الى كثرة حدائق الرمان التي كانت تحيط بها، الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، أو عبد الله، محمد بن محمد الحسيني، (ت560هـ/1164م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ج:2، ص: 569

4- عامر أحمد عبد المحسن، المرجع السابق، ص:123.

5- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص:151.

أما خلال عهد السلطان أبي سعيد عثمان عبد الحق المريني (ت:731هـ/1341م)[1] اعترى سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة شيء من الجمود بسبب موقف المرينيين من بني الأحمر على خلفية مشاكل شيوخ الغزاة من بني العلاء [2]، وعلى الرغم من هذه العلاقات المتوترة بين الجانب المريني والغرناطي، إلا أنها استمرت مظاهر العلاقات الحسنة بين فاس[3] وغرناطة [4]، وهذا ما كان بين المرينيين وبني الأحمر من جهة العلاقات السياسية.

الوضع السياسي بين المرينيين والزيانيين:

كان الصراع على أشده بين الزيانيين والمرينيين خاصة، لجوارها في الموطن والملك، ومنافستهما على الاستقلال برئاسة زناتة، ولتحقيق ذلك راحت كل واحدة منهما تبذل جهودها في مختلف المجالات، مستغلة كل الطرق والوسائل، فكان بذلك تاريخهما السياسي منذ نشأتهما إلى غاية سقوطهما حافل بالأحداث التاريخية التي تراوحت بين الحرب والسلم، والمعاهدات ونقضها والمؤامرات والخيانات والصراعات الداخلية في الأسرة المالكة حول العرش، والحصارات وغيرها.

أما عن الوضع السياسي الذي عاشه مؤرخنا وقد كتب عنه الكثير سواء في كتابه الأنيس المطرب أو الذخيرة فهو ما كان بين بني عبد الواد والمرينيين، فإن الخلاف بينهما قديم ناشئ عن التنافس

---

[1]- ابو سعيد عثمان عبد الحق المريني بن محيو بن ابي بكر بن حمامة بن محمد بن وزرير بن فجوس بن جرماط بن مرين الزناتي المريني مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:35.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص:249.

[3]- فاس: مدينة مشهورة كبيرة تاسست192هـ/807م تكتسب أهمية بالغة في التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى اذ عدت من أعظم انجاز شيده الادارسة، فكانت حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي عرفت بتشجيع الحركة العلمية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار صادر، د ط، 1404هـ/1984م، مج:04، ص:230

[4]- عامر أحمد عبد المحسن، المرجع السابق، ص:142.

الشديد بينهما حول بسط نفوذهما على أكبر مساحة من المغرب باعتبار أسبقية كل واحدة منهما في وراثة الموحدين [1]، إضافة إلى الجوار في الملك والمنافسة والاستقلال برئاسة بزناتة [2] [3].

ومع بداية العصر الذي عاشه ابن أبي زرع، استمرت الصراعات السياسية، ومع التفوق المريني عدة وعددا كانت الغلبة لصالحهم فألحقوا ببني زيان هزائم ثقيلة قتل فيها الأمير أبو حفص عمر كبير أبناء يغمراسن[4] وولي عهده، فكانت هذه الضربة قاسية لعبد الواد، مزقت صفوفهم وهزت من معنوياتهم مدة طويلة خصوصا بعد فرار يغمراسن إلى تلمسان وهو منهار المعنويات [5].

وقد ذكر ذلك ابن أبي زرع في الأنيس حيث أورد: " فشن يغمراسن الغارات في أطراف بلاد أمير المسلمين يعقوب فاتصل به الخبر وهو محاصر لمراكش فأقلع عنها وقصد تلمسان لحرب يغمراسن بن زيان، ورأى أن تقديم غزوه من الواجب"[6].

وأفاد أيضا ذلك في الذخيرة السنية حيث أورد: " ...خرج إليه من حضرة فاس في النصف من ربيع الأول من سنة ستة وستين المذكورة في احتفال عظيم وزي عجيب بالعيال والمواكب والقباب

---

[1]- هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير جامعة أبو بكر بلقايد، جامعة تلمسان، 2008، ص:190.

[2]- زناتة: من أقوى القبائل البربرية، اختلف المؤرخون العرب حول أصلها وتسميتها، غير أنهم أجمعوا أن هذا القبيل من ولد زانا أو جانا، وقد تفرعت عنها العديد من القبائل ذكر منها: مغرواة، وبني يفرن، وجراوة، وبني يرتيان، وبني واسين، وبني تيغرس، وبني مرين، وتوجين، وبني عبد الواد وبني راشد، وبني برزال، وبني ورنيد، وبني زنداك وغيرهم ينظر في ذلك، ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص:4

[3]- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج: 2،1986، ص:422.

[4] - ولد يغمراسن سنة (603هـ/ 1206م) ولي وبويع يوم توفي اخوه ابو عزة سنة (633هـ/1236م)، وكان معروفا عند قومه بدهائه السياسي وشجاعته وحزمه وحصافة رأيه، ومكارم أخلاقه وإيثار ذوي الفضل والعلم، حيث قال عنه ابن خلدون ":كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله واقواهم كاهلا، اشتهر بحصافة الرأي وسداد التدبير وقو ة العزيمة معظما عند الخاصة والعامة، يرجعون إليه في كل الأمور عندما تداهمهم النوازل والنوائب والعوادي"، - ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص:162

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص:176،177.

[6]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص:305.

والجيوش الوافرة، والعدد والسلاح والسيوف الباترة..."[1]، وقد ذكر أن ملاقاة بني زيان وبني المرين المذكورة كانت بواد تلاغ.

وقد ذكر ابن أبي زرع الحال بينهما على لسان شاهد الحال من ذلك الموقف من الحروب وشدة الأهوال:

سَلْ عَنْ مَوَاقِفِ حَرْبِهِمْ لَمَّا الْتَقَتْ يَوْمَ الصِيَاحِ كَتَائِبٌ بِكَتَائِبِ

وَالنَّبْلُ فِي ظُلْمِ العِجَاجِ كَأَنَّـــــهُ وَبْلٌ تَتَابَعَ فِي خِلَالِ سَحَائِبِ [2]

وبعد هذا الصراع المرير رأى يعقوب بن عبد الحق أن ينتهز الفرصة ليصالح يغمراسن ليأمن جانبه، لكنه لم يفلح في ذلك، وبعد توالي الهزائم على يغمراسن عمد إلى تغيير سياسته اتجاه المرينيين، حيث كف عن مناوئتهم لبعض الوقت واتجه شرقا للتوسع على حساب الحفصيين، وفي سنة 673هـ انعقدت المهادنة بين يغمراسن وأبي يوسف يعقوب بمبادرة من هذا الأخير، التزم بمقتضاها يغمراسن بعدم الاعتداء على الأراضي المرينية [3].

وعلى الرغم من هذا الصلح فإننا نجد أن العلاقات السياسية بين بني عبد الواد والمرنيين بقيت متوترة، فقد قام يغمراسن بأخذ الثأر من حلفاء بني مرين، وقصد المرينيون سلجماسة[4] التي كانت تحت يد يغمراسن [5]، وقد ذكر كل من ابن خلدون [6] وابن أبي زرع [7] أخبار هذه الوقائع.

---

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص:115.

[2]- المصدر نفسه، ص:116.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:07 ص:178.

[4] - سجلماسة: مدينة بنيت سنة 140هـ/759م، وهي تقع في اول الصحراء الكبرى جنوب المغرب في طرف السودان على نهر يقال له زير، احمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي، البدان، ط:03، النجف، المطبعة الحيدرية، 1957، ص:359.

[5]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:196.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:07 ص:171-178-،336-381.

[7]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:198،197، والذخيرة السنية ص: 132،131،97،83.

العلاقات السياسية بعد يغمراسن بن زيان:

من خلال وصية تركها يغمراسن لابنه أبو سعيد عثمان [1] أدرك أنه لا قوة لمجابهة المرينيين، فعمد إلى بلاتوسع شرقا على حساب الحفصيين.

واستمرت العلاقات المتوترة تسود المشهد العام بين الزيانيين والمرينيين بعد وفاة يغمراسن، وقد بلغ من تصميم السلطان المريني يعقوب يوسف بن عبد الحق على الاستيلاء على تلمسان أنه أدار عليها سورين بينهما فصيل وشدد عليهما الحصار [2]، وابتنى مدينة بحالها وسماها المنصورة، وبعد رفع الحصار وانتهاء النكبة حاول الزيانيون لم شتاتهم، ففي عهد أبو حمو موسى الأول افتتح عهده بإبرام الصلح وتحقيق السلم مع أمراء بني مرين تأمينا لظهره، حيث أوفد كبار وزرائه إلى السلطان أبي ثابت [3].

وفي عهد خامس ملوك الأسرة الزيانية أبو تاشافين عبد الرحمن الأول تجددت الصراعات السياسية بين عبد الواد وبني مرين خاصة بعد إعلان المرينيين تحالفهم ونجدتهم للحفصيين الذين تعرضوا للاعتداء الزياني، وحاصر بنو مرين المدينة وتمكن من اختراق أسوارها ودخولها، فوجدوا السلطان أبو تاشافين – وأولاده ووزراؤه في مقدمة المقاومين يقاتلون بشدة إلى أن قتلوا جميعا أمام باب القصر [4].

ولما استولى السلطان المريني على تلمسان رأى أن من كمال سلطاته استخدام بني عبد الواد فأحسن إليهم وأقامهم على مراتبهم [5]، حيث عامل أمراءهم وفرسانهم معاملة حسنة فشملهم بعطفه، كما استعمل من توسم فيهم الكفاءة والشجاعة من الضباط والجنود والفرسان في جيشه وإدارته لتوسيع نفوذه [6]، وبعد هذا التاريخ أي استيلاء السلطان المريني على تلمسان في(737هـ/1336م) استمرت

---

[1]– الناصر السلاوي، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج:3، ص:56.

[2]– ابن خلدون، المرجع السابق، ج:07 ص:256.

[3]– التنسي أبو عبد الله محمد، كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان، تح: محمد بوعياد، الجزائر، ص:186.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج:07 ص:299.

[5]– التنسي، المصدر السابق، ص:149.

[6]– هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:210.

العلاقات السياسية بين الدولتين في تأرجح ولكن غلب عليها طابع التوتر الدائم حتى بعد تاريخ ابن أبي زرع الفاسي.

العلاقات السياسية بين الحفصيين والمرينيين:

وفيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين الحفصيين والمرينيين في المجال السياسي والتي تخص عصر مؤرخنا ابن أبي زرع الفاسي، فقد كانت الأمور على نحو ما جرت عليه بين المغرب الأقصى والأوسط (الزيانيين)، وتبدأ العلاقات الحقيقية بينهما بعد ارتقاء أبي حفص سدة الحكم على العرش الحفصي، لكن بدأت بالتصالح وعدم الدخول في صراعات حقيقية، وقد كانت علاقات جيدة سادها الود والمصاهرة، ولعل ما يؤكد العلاقات الودية إرسال السلطان الحفصي المستنصر الهدايا لأبي يوسف يعقوب السلطان المريني على إثر فتحه مراكش وإسقاط الحكم الموحدي سنة (668هـ/ 1269م) [1].

ظلت العلاقات المرينية الحفصية طيبة يسودها الود، وازدادت ارتباطا عندما تزوج السلطان المريني من إحدى بنات أبي بكر الحفصي، وخلال معركة طريف[2] سنة (741هـ/1341م) أرسل السلطان أبو الحسن في طلب أساطيل المسلمين، فجاءته أساطيل الحفصيين من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية لمساندته، إلا أن هذا الود بين الطرفين سينتهي مع وفاة السلطان الحفصي أبي يحي حيث تدخل السلطان أبو الحسن في تونس، ومن ثم تتوتر العلاقات السياسية بين بني حفص وبني مرين، وتلك الأحداث لم يعايشها مؤرخنا لأنها كانت بعد العصر الذي عاش فيه والذي اتسم بالهدوء والود، وعليه كانت العلاقات المرينية سواء مع الزيانيين أو مع الحفصيين تتسم بطابع العداء حينا والهدوء والترقب والخوف حينا آخر.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:07، ص:240.

[2] - طريف: مدينة تقع في اول المجاز المسمى بحر الزقاق ويتصل غربيها ببحر الظلمات، ويشقها نهر صغير، ومن طريف الى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميل، وسميت طريف بهذا الاسم نسبة الى القائد طريف مولى موسى بن نصير، (ت97هـ/716م) الذي نزلها اول الفتح، الحميري، المصدر السابق، ص: 392.

وقد تأثر ابن ابي زرع بالواقع السياسي الموجود في تلك الفترة بين الدولة المرينية وباقي الدويلات الإسلامية الأخرى، واتضح ذلك في كتابيه الانيس والذخيرة حيث لم يدع أي حدث مهم خاصة إذا تعلق بالدولة المرينية إلا وذكره، في حين لم يكتب عن الدول الأخرى المجاورة إلا إذا تعلق الامر بالمرينيين.

الحياة الاجتماعية:

استقرت عناصر سكان المغرب على ما كانت عليه في عهد الموحدين، وبدأ أثر العنصر العربي يشتد في توجيه الحياة السياسية شيئا فشيئا، فقد اعتمدوا بني مرين على عدة عناصر منها: [1].

1- **البربر**: ويشكل العنصر الكبير من عناصر الجيش [2].

2- **الأندلسيون**: وهم الوافدون من الأندلس [3]، ويتكون من مجموعتين: فالمجموعة الأولى تمثل المشتركون في الجيش المريني، وكانوا من النشابة حملة الأقواس، بصفة خاصة لمهاراتهم في الرماية، وتولوا قيادة المراكب السلطانية.

3- أما المجموعة الثانية وهم العلماء الذين انتقلوا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد ضياع بلادهم بسبب احتلال النصارى لهم، وهؤلاء كان لهم دور في الحياة الدينية والثقافية في الدولة المرينية [4].

4- **العرب** [5]: وكان معظمهم من الفرسان، لكن المرنيين لم يعتمدوا كثيرا على القبائل العربية خاصة بمرحلة التأسيس، إذ كانت هذه القبائل متذبذبة بين ولائها للموحدين وطاعتها لبني مرين إلى هذه الفئات كانت عناصر أخرى مثلت أقليات صغيرة.

---

[1] - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشادة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، د، ط،2000 ج:1، ص:144.

[2] - محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)، (869هـ/1465م)، كلية الآداب، جامعة المنصور، صنعاء، دار القلم، الكويت ط:2، 1987، ص:317.

[3] - إبراهيم حركات، المرجع السابق ج:2، ص:145.

[4] - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص:317.

[5] - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية، ص: 139.

5 - **الغز:** وينتمون إلى بائل التركية التي كانت تسكن في إقليم ما وراء النهر، وهؤلاء ظهروا في مجتمع المغربي منذ عهد المرابطين، استعانوا بهم في جيوشهم لكن الغز في ظل الدولة المرينية لم تكن لهم مكانة مثلما كانت لهم في الدولة الموحدية [1]،

أما الفرنجة فمعظمهم كانوا يمثلون فرقة ضمن فرق الجيش المريني وكان قائدهم يطلق عليه اسم قائد جند النصارى [2]، وقد حرص سلاطين بني مرين على جمعهم في مكان واحد عرف بحي الملاح بالقرب من البلد الجديد [3].

وسكن حي الملاح مع الروم اليهود الذين شكلوا أعدادا كبيرة في المغرب الأقصى وكانوا أكثرهم بفاس[4]، وكان لهم دور كبير في الحياة السياسية في الدولة المرينية وقد وصل بعضهم إلى أرفع المناصب في الدولة، وقد أدى تحكم اليهود في الدولة إلى مقتل السلطان عبد الحق المريني وسقوط الدولة المرينية [5]، وهناك بعض المظاهر الاجتماعية التي يمكن تتبعها من خلال المصادر والمراجع والتي كانت تخص طبقة السلاطين والعامة، فمن بين السلاطين الذين اهتموا بالقراءة السلطان أبو الحسن المريني غالبا ما يجلس للقراءة فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر فكان يقرأ الأخبار والسير، كالسير لأبي الربيع وسراج الملوك وفتوح الشام[6].

أما البلاط المريني فكان يغلب عليه طابع البداوة في بدايته لأسباب عدة، منها القيام بزيارات الأقاليم بهدف دعم السلطة المرينية هناك، وكان البلاط المريني يحوي خُداما يختصون بخدمة السلطان، ولم يكن للنساء دور مباشر في السلطة لأنهن كن محجوبات في القصور، كما أن هناك احتفالات ومناسبات كثيرة كان يشارك فيها السلطان المريني إما بالتجمع ورؤيتها أو المشاركة الفعلية، ومن هذه

[1] - محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 318.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص:303.

[3]-المصدر نفسه، ص:315.

[4]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص:318.

[5]- السلاوي، المرجع السابق، ص:39.

[6]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص:330.

الاحتفالات التي اهتم بها السلاطين، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فيكون بإظهار الزينة والتأنق فيها [1].

الوضع الثقافي:

إن الجهود المرابطين والموحدين التي بذلوها في مجالي الثقافة والعلم، كانت بمثابة الإرث الثقافي للمغرب الإسلامي ،، وانطلقت الحياة الفكرية من بعدهم وقد تبناها المرينيون واتجهوا بها إلى أفاق أوسع وأرحب أتاحت لهم المزيد من النضوج [2]، وقد دعم سلاطين بنو مرين انطلاقها في عهدهم، و احتضنوها في مجالسهم وقربوا العلماء على اختلاف مستوياتهم وآرائهم وأفكارهم احتراما منهم لحرية الفكر [3].

وقد كانت هذه المجالس ندوات علمية رفيعة وقد دفع سلاطين بني مرين إلى عقد هذه المجالس، وكان ذلك بسبب حبهم للعلم الذي كان السمة الغالبة على أكثر سلاطينهم[4]، ومنهم على سبيل المثال السلطان أبو عنان المريني الذي كان فقيها، وقد احتضن البلاط المريني حشدا من العلماء لا يحصى عدداً، ويكفي للتعبير عن كثرتهم أن عدد من استشهد من علماء ذلك البلاط كان أربعمائة عالم(400)، عند رحيلهم إلى إفريقية، ومما لا شك فيه أن كثرة المدارس والمساجد كانت السبب في الأعداد الهائلة من العلماء الذين قاموا بدورهم في تقديم الفتوى والعلم للناس على اختلاف مستوياتهم [5].

---

[1]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 332

[2]- محمد الفاسي، نشأة الدولة المرينية، مجلة البيّنة، ع: 1962،08، ص:22-23.

[3]- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم تر: عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1969، ص: 326.

[4]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص:338.

[5]- على الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط:2، 1411هـ-1991م، المطبعة الملكية، الرباط، ص:83.

ومن العلماء الذين ضمهم مجلس السلطان أبي الحسن الخطيب ابن مرزوق الذي كان قمة في الحديث والفقه [1]، والآبلي الذي كان عالما بالعلوم العقلية، والفقيه النحوي أبو عبد الله الرندي وأبو زيد عبد الرحمان بن الإمام، وأبو عبد الله بن عبد السلام، وكان السلاطين يتخيرون ويحرصون على قراءة أمهات الكتب كصحيح البخاري ومسلم وتهذيب ابن هشام، وجملة من كتب الوعظ والحديث وكذلك الموطأ والتهذيب لابن الحاجب [2].

أما بالنسبة للمذهب فقد كان المذهب المالكي سائدا وعاد بقوة مثل المكانة التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحدين، فالسلاطين كانوا حريصين على أن تقرأ بين يديهم مؤلفات المذهب المالكي، وقد نهى عن الخوض في غيرها وزجر من تمادي في ذلك [3]، وقد أحب العامة المذهب المالكي والمثقفون أيضا، وذلك واضح في عدد العلماء المتزايد الذين يعكفون على دراسة مؤلفات المذهب الأساسية [4].

ومن أشهر الفقهاء المالكيين على عهد المؤرخ عبد الرحمان بن عفان الجزولي، وأبو عبد الله القشتالي ومصباح بن عبد الله اليالصوتي، وأبو الحسن الصغير وغيرهم [5]، ومنهم ابراهيم بن عبد الرحمان التاسولي تلميذ هذا الأخير، وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة [6].

وفي العصر المريني ظهر العديد من المؤرخين الذين أرخوا للدولة وعاصروا ابن أبي زرع، وقد نبغوا في مجالات التاريخ والسير والرحلات كابن عذارى صاحب **البيان المغرب**[7]، والجزنائي صاحب

---

[1]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص:339.

[2]- المرجع نفسه، ص:339.

[3]- الجزنائي، المصدر السابق، ص:15.

[4]- ألفرد بل، المرجع السابق، ص:322.

[5]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص:340.

[6]- المرجع نفسه، ص: 340.

[7] - ابن عذارى المراكشي، صاحب البيان المغرب من المؤرخين الذين برزوا في العصر المريني وكتب مؤلفه عن المغرب والاندلس بعنوان: "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، ج4، ط:3 تح ومر: ج، س، كولان و أ. ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب ودار الثقافة، بيروت، 1983م.

زهرة الآس[1] وابن خلدون في مؤلفه **العبر** ولسان الدين ابن الخطيب في **الإحاطة** وابن مرزوق الخطيب كما ألف لبني مرين اسماعيل بن الأحمر في مؤلفاته **كروضة النسرين والنفحة النسرينية**، وصاحب **الحلل الموشية** .... الخ.

ومن المؤرخين الرحالة، نجد العبدري[2] صاحب الرحلة الشهيرة، كما ظهرت علوم أخرى كالجغرافيا والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق والطب كما حرص بنو مرين على المكتبات واهتموا بالأدباء والشعراء، هذا وشهد القرن السابع للهجري، انتعاش في الحركة العلمية والثقافية، ولا سيما في المغرب الأقصى، حيث برز علماء وفقهاء ومؤرخون برزوا في العديد من المجالات، ومن هؤلاء نجد ابن ابي زرع الفاسي الذي يمثل تراث حي، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ المغرب ومدينة فاس.

العصر الثقافي لابن أبي زرع الفاسي:

لم يقل اهتمام المرينيين بالعلم والعلماء عن غيرهم، فقد أولوا هذا الجانب عناية فائقة، فاهتم سلاطين بني مرين بتقريب العلماء منهم ومن مجالسهم، وإجراء الأرزاق عليهم ومنحهم مناصب هامة في الدولة، واستشارهم في أمورها وحضور حلقات دروسهم، خاصة إذا تعلق الأمر بعصر ابن أبي زرع في فترة حكم السلطان أبو الحسن المريني وما قبله، ولعل ابن أبي زرع لم يذكر في كتابيه "**الأنيس المطرب**" و"**الذخيرة السنية**" الأحوال الثقافية إلا نادرا، واكتفى بالجانب السياسي وأسهب فيه.

وما يمكن جمعه عن الحياة الثقافية يمكن استخلاصه من المؤرخين المعاصرين له، حيث يقول ابن خلدون:"كان السلطان أبو الحسن لدينه وسرواته وبعد شأوته في الفضل يتشوق إلى تنويه مجلسه بالعلماء واختار منهم جماعته لمصاحبته ومجالسته"[(3)]، وحين خروجه إلى إفريقية كان موكبه حافلا

[1] - على الجزنائي صاحب المؤلف:" جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط:2، (1411هـ-1991م)، المطبعة الملكية، الرباط.

[2] – صاحب الرحلة المشهورة من المؤلفين الذين عاصروا ابن ابي زرع الفاسي، له مؤلف بعنوان، "رحلة العبدري."

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج: 7، ص:80.

بالعلماء لاتخاذه مظهرا من مظاهر دولته في تقديم العلم والتباهي به [1]، ولعل اهتمام المرينيين بالعلم والعلماء، وتهيئة الظروف والوسائل لهم منها بناء المدارس وعلى حسب بعض المؤرخين كان إخفاء المرينيين ورغبتهم في إضفاء الشرعية التي كانت تنقصهم [2]

ومهما يكن فإن العصر الذي عاشه ابن أبي زرع شهد ازدهارا علميا وحركة فكرية نشيطة حيث ظهر جيل من العلماء والفقهاء والمؤرخين أسهموا بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية، وتشهد مؤلفاتهم ومصنفاتهم على ذلك، ومن بين الفقهاء والعلماء الذين عاصروا وعاشوا في زمن مؤرخنا نذكر على سبيل الذكر لا الحصر:

مصباح بن عبد الله الياصلوتي [3]، وعبد الرحمان بن عفان الجزولي أبو زيد [4]: ومن تلامذته الشيخ يوسف بن عمران الأنفاسي والإمام الحافظ أبو عمران العبدوسي وغيرهم [5].

وأبو عبد الله محمد الرندي الفاسي [6]، وأحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي العبادي السعدي: (ت:741هـ/1341م)، من بيت علم بفاس وأصالة، أصلهم من الأندلس، كان فقيها خطيبا مدرسا مقرئا.

1- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:132.

2- المرجع نفسه، ص:132.

3- مصباح بن عبد الله الياصلوتي: كان فقيها صالحاً حافظا نوازليا، أول من درس بمدرسة أبي الحسن المريني (ت،750هـ/ 1349م) وله فتاوى عديدة، أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحفيظ عبد الله الهرمه، طرابل ، كلية الدعوة الإسلامية، ج:01و02، د ط، ص:306.

4-عبد الرحمان بن عفان الجزولي أبو زيد: توفي في السنة التي توفي فيها ابن أبي زرع، وصفه أحمد بابا التمبكتي بالشيخ الفقيه الحافظ شيخ الرسالة والمدونة، كان علامة في المذهب ورعا صالحا، توفي حين خرج للقاء السلطان أبي الحسن المريني ونزل له أيضا السلطان لإجلاله أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق ج:1، ص:265-266.

5- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:155.

6- أبو عبد الله محمد الرندي الفاسي: (ت،746هـ/ 1345م) الفقيه الحافظ، القائم على المذهب، إمام في العربية مقدم في النظر، انتفع به خلق كثير، توجه مع السلطان أبي الحسن المريني لإفريقية فمات بها. أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ج:2، ص:56.

هؤلاء مجموعة من العلماء والفقهاء الذين عاصـــرهم ابن أبي زرع، وقد اختصـــوا بالعلوم العقلية والدينية (الفقه، التفســـير، الحديث)، وقد انفرد أحمد بابا التمبكتي في ذكرهم، وقد عزف مؤرخنا عن ذكرهم، لأن ماعني به كتابي صاحبنا اشتمل على المجال السياسي والعسكري بإسهاب كبير، أما فيما يتعلق بالعلوم اللسـانية والاجتماعية من أدب ونثر ونحو وشـعر وتاريخ فقد اشـتمل ذكرنا على البعض ممن عاصر حياة ابن أبي زرع، ونذكر منهم أيضا جملة على سبيل الذكر لا الحصر أيضا ومنهم:

1-مالك بن المرحل السبتي (ت،699هـ/ 1300م): تعاطى صناعة التوثيق في بلده، وذكره ابن أبي زرع في الذخيرة في قوله واصفا مدينة سبتة:

أُخْطُرْ عَلَى سِبْتَة وَانْظُرْ إِلَى جَمَالِهَا نُصِبَ إِلَى حُسْنِهِ.

كَأَنَّـــهَا عُودُ الغِنَاءِ وَقَـدْ أُلْقِيَ فِي البَحْرِ عَلَى بَطْنِهِ.

وله قصائد في المدح والتهنئة [1].

2-عبد العزيز الملزوزي المكناسـي: شـاعر الدولة المرينية على عهد يعقوب المنصـور، وله عدة قصـائد واكب فيها كل الأحداث التي مر بها بنو مرين خلال معاصـرته لهم، ويقول في قصـيدة رفعها إلى أمير المسلمين يعقوب بمدحه ويحرضه على غزو يغمراسن بن زيان:

أَرَى كُلَّ جَبَّارٍ بِسَيْفِكَ يَصْغُرُ وَكُلَّ مَلِيكٍ عَنْ فِعَالِكَ يَصْغُرُ.

وَكُلُّ عَزِيزٍ خَاضِعًا مُتَوَاضِعًا وَكُلُّ يَمَّانٍ عَنْ يَمِينِكَ يَمْطُرُ.

تَنَامُ عُيُونُ النَّاسِ طُرًا وَأَنْتَ فِي صَلَاحِ العُلَا وَالخَلْقُ مَازَالَتْ تَسْهَرُ [2].

3-أحمد بن محمد بن علي التجيبي السـبتي أبو العباس الشـهير بابن القراف: الكاتب الفقيه الأديب الحافظ كان أحد وجوه الأدباء، كثير النظم في البنويات وغيرها، كتب عن أمراء الأندلس، احتفل له شيوخ المالكية، وضربوا الطبول والبوقات على رأسه إشادة وتنويها به [3].

أما ما كان ممن عاصرهم ابن أبي زرع الفاسي من جانب الحياة والعلوم العقلية فأشهرهم:

[1]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص:119-120.

[2]- المصدر نفسه، ص:126-128.

[3]- أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ج:1، ص:86.

1-ابن البناء (ت،721هـ/ 1321م): عالم مراكشي متفنن في علوم جمة، برز بصفة خاصة في الرياضيات والفلك والتنجيم والعلوم الخفية، وكذلك في الطب، وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن ابن البناء قد تفوق على من سبقه من علماء الرياضيات من العرب في المشرق [1]، وقد ألف أكثر من سبعين كتابا في الحساب والهندسة والجبر... [2].

2-أبو العباس أحمد بن شعيب: أحد فضلاء وقته ونبلاء زمانه، طبيب، أديب، بارع في الخط يحسن الكتابة، ولذلك استخدمه السلطان أبو الحسن المريني في ديوان الكتابة [3].

نماذج من اهتمام المرينيين بالحياة الثقافية:

العلماء الذين عاصروا ابن أبي زرع:

1-أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي التلمساني (ت،757هـ/1356م)، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، أشهر علماء المغرب الأوسط أصل أجداده من آيلة من الأندلس، أخذ علوم المنطق والأصول عن جده القاضي وعن أبي الحسن التنسي [4].

2-أبو عبد الله محمد بن يحي بن علي بن النجار التلمساني: أصله من مراكش، قال عنه المقري" لم يكن ابن النجار بصيرا بالفقه وإنما عنده ذكاء زائد [5]، ارتحل إلى المغرب الأقصى في زمن ابن أبي زرع، والتحق ببلاط أبي الحسن المريني أيام احتلاله للمغرب الأوسط وصحبه إلى إفريقية، وتوفي بتونس (749هـ/1348م).

---

[1]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:183.

[2]- أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ج: 1، ص:84-85.

[3]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:184.

[4]- أحمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ج:2، ص: 66.

[5]- المقري، نفح الطيب، ج:7، ص:272.

3-ابن عذارى المراكشي: صاحب كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لم يكن بينه وبين ابن أبي زرع لقاء على الأرجح، لأن المصادر والمراجع لم تذكر ذلك، على الرغم من أنهما عاشا تقريبا في زمن واحد أيام الدولة المرينية، كما لم يذكر ابن أبي زرع ذلك في كتابيه.

المؤسسات الثقافية والتعليمية في العصر المريني:

المساجد:

-الجامع الكبير بتازا[1]: أنشأ هذا الجامع الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ووسعه السلطان المريني أبو يعقوب وأصلحه السلطان أبو عنان [(2)].

-الجامع الكبير بفاس: نسب هذا الجامع إلى السلطان أبي يوسف يعقوب، حيث أمر ببناء هذا الجامع بفاس الجديد [(3)].

ونذكر أيضا جامع الحمراء أنشئ كذلك في عصر بني مرين وجامع الزهر بفاس الجديد، وجامع الشرابيين أيضا بفاس.

المدارس:

اختصت المدارس عموما في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي بتدريس العلوم الدينية ، وخاصة الشريعة الإسلامية والفقه على المذهب المالكي، حيث تولى بنو مرين حمايته والدفاع عنه [(4)]، وتعتبر الدولة المرينية أكثر دويلات المغرب الإسلامي نشاطا وحيوية في هذا المجال خاصة في الأيام الأولى لها،

[1] - تازا: مدينة تقع شرقي مدينة فاس بنحو 127 كم وهي أول بلاد المغرب الاقصى وتيزا وتيزى كلمة بربرية معناها الصخرة وتجمع تازة أو تيزا، ولمكانتها الحربية اتخذها السلطان يوسف قاعدة له لغزو تلمسان، مجهول المؤلف، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، دار الشؤون الثقافية، 1987، ص:186.

[2]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:132.

[3]- المرجع نفسه، ص:132.

[4]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج:2، تر: محمد مزالي وبشرى سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص:240.

واتخذوا حركة تشييد المدارس مظهرا لسياستهم الدينية والعلمية بعد قضائهم على دولة الموحدين والعودة بالمذهب المالكي إلى مكانته السابقة [1]، وقد انتشرت ظاهرة بناء المدارس وبخاصة على عهدي أبي الحسن وابنه أبي عنان، ومن أهم المدارس نذكر:

-مدرسة الصفارين: كانت أولى المدارس التي أُنشأت بالمغرب الأقصى، شيدها السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق، أقامها لطلبة العلم فأوقف عليها الأوقاف [2]، وكان قد زودها بخزانة كتب، وصلت إليه من الأندلس [3]، وقبل وفاته أنشأ هذا السلطان مدرسة أخرى بمراكش ومسجدا جامعا بمكناس يضم مدرسة.

-مدرسة فاس الجديد ومدرسة دار المخزن: شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الثاني بن يعقوب (710هـ/ 1310م) [4].

-مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى: بناها الأمير أبو الحسن المريني في عهد والده السلطان أبو سعيد عثمان [5].

-مدرسة الحسن: بنيت في نفس الفترة التي بنيت فيها مدرسة الصهريج، وتوجد العديد من المدارس بنيت خلال العهد المريني كمدرسة العطارين بفاس والمدرسة المصباحية بفاس أيضا، والمدرسة البوعنانية بمكناس وفاس.

إن اهتمام المرينيين بالحياة الثقافية والفكرية لم يقتصر على بناء المساجد والمدارس بل شيد المرينيون العديد من الزوايا، سواء بالمغرب الأقصى أو الأوسط أو أي منطقة كانت تحت سيطرتهم فالزوايا في المغرب الأقصى كثيرة مثل: زاوية مقبرة سلا، والزاوية المتوكلية، وزاوية سيدي الحلوي

---

[1]- السلاوي، المرجع السابق، ج:3، ص:65.

[2]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:135.

[3]- المرجع نفسه، ص:135.

[4]- السلاوي، المرجع السابق، ج:3، ص:175-176.

[5]- المرجع نفسه، ج:3، ص:175-176.

بتلمسان [1]، وبنى أيضا المرينيون الرباطات كرباط تافرطاست أو زاوية تافرطاست التي بناها أبو يوسف يعقوب سنة (684هـ/1285م) [2].

وقد اختلف ابن أبي زرع وابن خلدون في التعبير الاصطلاحي للمبنى الذي شيده أبو يوسف فالأول يسميه الزاوية والثاني يسميه الرباط، مما يؤدي إلى توحيد المعنى وتشابه الوظيفة، رغم المكانة السياسية والعسكرية التي تبوأتها دولة بنو مرين إلا أنها لم تركز جهودها على هذا الجانب فحسب لضمان بقائها واستمرارها، فقد وجهتت انشغالها نحو العلماء والفقهاء واهتمت بالجانب العلمي والفكري فلذلك نجد أن سلاطين بني مرين اهتموا للجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا فقربوا العلماء من مجالسهم وأغدقوهم بالأموال لتحفيزهم على الإبداع والنشاط، وأعطوهم مطلق الحرية في التنقل لانتهال العلوم والتحصيل، فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت، وتوافد طلاب العلم من كل مكان، فأضحت فاس حاضرة تضاهي قرطبة والحواضر الإسلامية الأخرى.

العلاقات الثقافية للدولة المرينية:

ترجع هذه العلاقات الثقافية لمجموعة من النشاطات العلمية والفكرية التي أثرت في الحياة الثقافية، وإن التواصل الفكري بين الدولة المرينية وغيرها من الأقطار قد أبرزته بوضوح تلك الرحلات العلمية لعلماء الدولة المرينية والدول الأخرى، والتنقل بين العواصم للانتهال والتحصيل والتدريس، وما نتج عنها من حوار فكري ومناظرات علمية هامة، بين أجلة العلماء للخروج بالعلوم من قوقعتها المحلية إلى الخوض في مختلف العلوم، ومن مظاهر هذا الترابط الفكري والثقافي:

[1]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:143.

[2]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص:33.

الرحلات العلمية:

كانت الرحلة في طلب العلم من المسائل المحدودة في المغرب الإسلامي عموما [1]، والأمثلة كثيرة من علماء فاس والأقطار الأخرى خاصة تلمسان، إذ لم يمنع الصراع السياسي من مد جسور التواصل الثقافي بينهم، ومنهم:

-أبو عبد الله النجار: (**ت**،750هـ/ 1349م) وقد سبق ذكره، مراكشي الأصل من الذين عاصرهم المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي، لكن لم يذكر أنه التقى به، وقد ولد بتلمسان ونشأ بها، أخذ العلم عن الآبلي، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى، التحق ببلاط أبي الحسن المريني، من تلامذته: المقري الكبير وابن الفحام [2].

-**أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي** (ت:750هـ/ 1349م): درس بمدينة تلمسان على يد أبي موسى ابن الإمام وعلى جده وأبي الحسن التنسي[3]، وقد استخدمه يوسف ابن يعقوب المريني على تلمسان لكن سرعان ما ترك وظيفته، لازم الآبلي علماء فاس وانظم إلى مجلسهم، وانتصب للتدريس في عواصم بلاد المغرب وحواضرها، ومن بين العلماء الذين ارتحلوا وخاصة بين تلمسان وفاس بحكم القرب: محمد بن حسن اليحصبي (ت،734هـ/1337م) الشهير بابن الباروني، انتقل إلى فاس فأخذ عن أبي الحسن الصغير، فكان من أعلام الفقه وصدوره[4]، ومنهم أيضا أبو عبد الله محمد بن محمد المقري، ومن بين الأمور والأشياء التي أدت إلى ازدهار الحركة الفكرية والثقافية على غرار الرحلات العلمية نجد:

---

[1]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص:228.

[2]- احمد بابا التمبكتي المصدر السابق، ج:1، ص:239.

[3]- المصدر نفسه، ج:1، ص:66.

[4]- احمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ج:2، ص:228.

المناظرات العلمية:

كانت المناظرات العلمية بين العلماء والفقهاء شكل من أشكال التطور والتفوق العلمي، ومسرحا لإثبات الذات، وإبراز القدرات العلمية وإظهار الكفاءات، مما جعل هذه المناظرات عاملا أساسيا في توطيد العلاقات الثقافية، وشكلا من أشكال التواصل الفكري والثقافي [1]، وقد تناولت بالدرجة الأولى الفقه المالكي، فضلا عن التفسير والتصوف وعلم الكلام واللغة وغيرها من المسائل الفقهية المطروحة للنقاش والجدال، وقد جرت مناظرة قصيرة حول عموم الرسالة النبوية، وقعت بين الإمام الشيخ أبي عثمان سعيد العقباني، وأحد علماء اليهود كان يشتغل بمسائل علمية عديدة [2].

وهكذا ساهمت كل من الرحلات والمناظرات العلمية وحركة الجدل بقسط وافر من توفير جو ملائم لبروز العديد من العلماء والمؤرخين والفقهاء على مسرح أحداث الدولة المرينية، دون أن ننسى المساعدة الجادة التي بذلها سلاطين بنو مرين من إذكاء الحركة العلمية والثقافي.

[1]- هوارية بكاي، المرجع السابق، ص: 241.

[2]- احمد بابا التمبكتي، المصدر السابق، ج2، ص:306

ترجمة ابن أبي زرع الفاسي:

سيرته الذاتية:

المولد:

لا يكاد يُجمع الكثير من المؤرخين على تحديد سنة معينة لمولد ابن أبي زرع وذلك كما ذكرنا آنفا حول الغموض والابهام الذي يدور حول هذه الشخصية وحتى أصحاب كتب التراجم لم يحددوا سنة لمولده، ولذلك فمعظمهم يتفقون على أن تاريخ وفاته يمكن استنتاجه من خلال كتابيه ومحتوياتهما فيرجحون على أن مولده كان ما بين أواخر العصر الموحدي وبداية العصر المريني والأكثر احتمالا هو نهاية الدولة الموحدية وبذلك يمكن تحديد تاريخ مولد ابن أبي زرع ما بين سنتي (660هـ/1260م)، و(869هـ/1465م)، أما تاريخ وفاته فقد اجمع العديد من المؤرخين على انه في سنة (ت741هـ/1341م)[1]بوقعة طريف[2].

الخلاف حول اسمه:

فيما يتعلق بترجمة ابن أبي زرع الفاسي فإن موضوع الخلاف الواقع في اسمه ورد في بعدة أسماء والقاب، ولذلك سنحاول أن نجلي بعض الغموض الذي يدور حول هذه الشخصية واسمه بالنظر لما انتهى إلينا من أقوال عن حياته وتاريخه، ومقارنة تلك الأقوال بعضها ببعض، ولكن هذا لا يعني أننا سنقدم ترجمة كاملة ومستوفية لابن أبي زرع من لا شيء[3]، فما ادعينا أننا وفينا حق الترجمة لأحد ممن تتوافر فيه عناصر ترجمته، فأحرى لمن كان صاحبها يكاد لا يعرف اسمه على وجه التحقيق [4].

---

[1]- ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:09

[2] - محمد حجي، موسوعة اعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، ج:2، ص: 633-634، نقلا عن وفيات الونشريسي لأحمد بن يحي الونشريسي، ولقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، لأحمد بن القاضي.

[3] - عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، مركز التراث الثقافي والمغربي، ط:1، 1430هـ، 2010م، الدار البيضاء، المغرب، دار ابن حزم، بيروت، ص:469

[4]-المرجع نفسه، ص:470.

يذكر صاحب "**جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**" على أن اسم ابن أبي زرع هو: أبو الحسن علي بن عبد الله (أحمد بن أبي زرع) القارئ المتقن [1]، وسماه صاحب بيوتات فاس بأحمد ابن أبي زرع تولى الإمامة والخطبة بجامع القرويين بطلب العوام منه [2].

فمنهم من ذكر أن كتاب " **الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**" لابن ابي زرع الفاسي[3].

في حين ذكر اسم ابن أبي زرع الفاسي على أن اسمه هو: على بن عبد الله بن أبي زرع في كتابه " **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** " على حسب محقق الكتاب وتقديمه [4]، وقد سماه أحمد بن القاضي في كتابه " **لقط الفرائد من نفق الفوائد**" أبا عبد الله محمد [5].

ومن المؤرخين الذين تطرقوا إلى صحة اسمه ونسبته إلى كتابه الأنيس المطرب، عبد الله كنون حين ذكر أنه يوجد الأنيس الصغير لصالح بن عبد الحليم، والأنيس الكبير وهو ينسبه للشيخ الإمام الواعظ الخطيب المفتي الولي الصالح الورع الزاهد أبي الحسن، أو أبي عبد الله أو أبي العباس أحمد بن أبي زرع وهما كثيراً ما يتفقان فيها في الأخبار والمسائل [6].

إننا نلاحظ على الرغم من أن الأنيسين متشابهين في العنوان ومن حيث المبدأ والمنتهى، وأن الأنيس الصغير هو الكتاب الذي عني بالدراسة وهو الأنيس المطرب، فإذن أين نجد الأنيس الكبير.

ثم إننا لا نكاد نذكر الأنيس أو القرطاس إلا ونجد أن اسمه مقرون باسم ابن أبي زرع الفاسي، ولم نرى من نسبه إلى صالح بن عبد الحليم، فقد ذكره ابن خلدون في العبر[7] باسم الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر، وقد ذكره أيضا لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة باسمه وكتابه "

1- على الجزنائي، المصدر السابق، ص:60.

2- إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص:61.

3- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:471.

4- ابن أبي زرع الفاسي، الانيس المطرب، ص:02.

5- المصدر نفسه، ص:02.

6- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:470.

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص:761.

روض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي" وذكره أيضا في موضع آخر في كتابه هذا بهذا الاسم [1]وذكره الجزنائي في "**جنى زهرة الآس**"[2]، وذكر عبد الله كنون العديد من المؤرخين الذين تطرقوا إلى ابن أبي زرع الفاسي على أنه الاسم المتداول والمشهور والمعروف لمؤلف القرطاس أو الأنيس، كالمقري في "**نفح الطيب**"، والحلبي في **الدر السني**، وحاجي خليفة في "**كشف الظنون**"، وعبد السلام القادري في "**الدر "السني"**، والزياني في "**الحادي المطرب**"[3]، ونجد أن الناصري في "**الاستقصا**" ذكره في مواطن عديدة في مؤلفه على الاسم المذكور آنفا بابن أبي زرع الفاسي [4].

وإضافة إلى هذا، أجمع أهل العلم المعاصرين شرقيين ومستشرقين على هذه النسبة، فما يذكر أحد منهم كتاب القرطاس إلا مقروناً باسم ابن أبي زرع [5]، وجاء ذكره أيضا في "**دليل المؤرخ في المغرب الأقصى**" باسم أبي الحسن علي بن أبي زرع [6].

أسرته:

أما الحديث عن أسرته فقد ذكرت انّها كانت بفاس في أواخر العصر الموحدي وأوائل العصر المريني[7]، ويظهر أن هذه الأسرة كانت من أهل العلم والفضل، وإن لم يبلغنا عنها خبر غير ما ذكر [8]، وقد ذكر من هذه الأسرة رجال عرفوا بالصلاح والزهد والفضل أمثال: أبي العباس أحمد الذي قدمه الفقهاء والأشياخ للإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الإمام علي بن محمد، وأبي عبد الله محمد أول

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، مج1، ص4، ص83.

[2]- علي الجزنائي، المصدر السابق، ص60.

[3]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص473.

[4]- أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج2، ص50،46،45.

[5]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص474.

[6]- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997/1418، بيروت، لبنان، ص:127.

[7]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:07.

[8]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:480.

خطباء الجامع الكبير بفاس الجديد، وأبي عبد الله محمد المتوفى في وقعة طريف سنة (741هـــ)، وعلي بن عبد الله مؤلف "القرطاس" [1]، هذه بعض الأسماء التي ورد ذكرها في بعض المصادر، وهي بالحقيقة تعني أن أسرة ابن أبي زرع كانت أسرة عُرفت بالصلاح والزهد والعلم.

مما يلاحظ سابقا فقد اختلف في اسم ابن أبي زرع الفاسي، حتى وأن عموم المؤرخين يرجع إلى هذا الاسم، ولكن وقع أيضا غموض واشتباه في حاله، فمن واصف له بالعلم والصلاح والفقه والإفتاء وما إلى ذلك، ومن محجم ومقتصر لا يزيد وصفه بالثقة والعدالة شيئا [2]، ولعل أن الاسم الكامل لمؤلف القرطاس بعد تضارب الآراء نستطيع أن نشير على أنه هو: أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي، وابن أبي زرع هو النسب الذي عرفت به أسرته.

مذهبه:

أما بالنسبة للمذهب الذي كان عليه ابن أبي زرع الفاسي فلم يصرح به علنا في كتابيه، ولكن من الواضح على انه المذهب المالكي هو المذهب الذي كان عليه ابن أبي زرع بدليل عدم تعرضه لسلاطين الدولة المرينية بشيء الحاملين للواء المذهب، بل ذهب الى اكثر من ذلك فمدحهم واثنى عليهم ودليل ذلك في كثير من المواطن في كتابيه مثل: " أما بعد اطال الله بقاء مولانا الملك الرفيع ذكره وقدره البديع شرفه وقدره، الطيب أصله وفرعه، الزكيّ شخصه وصنعه[3] " وفي موضع آخر من الذخيرة يقول "...في ذكر الأمير الصالح المبارك عبد الحق رحمه الله، وذكر سيره الجميلة، ومآثره المحمودة الجليلة، وذكر رياسته وامارته على بني مرين، وما كان عليه من الفضل والتقى والدين"[4]... الخ وفي الكثير من مواضع كتابيه ما هو اشبه بهذا المثال، بالإضافة الى ان المرينيين باعتلائهم لسدة الحكم بعد الموحدين اعادوا للمغرب الإسلامي المهذب المالكي وحمل الناس عليه.

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:07.

[2]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:475.

[3]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص:10.

[4] - المصدر نفسه، ص:30.

سيرته العلمية:

تعليمه وآثاره:

من أهم الآثار التي خلفها ابن ابي زرع الفاســـي كتاب " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**" الذي يتناول تاريخ أربع دول تعاقبت على المغرب الأقصـى (الادريسـية، المرابطية، الموحدية، المرينية) ولا يمكن لأي دارس أو باحث في تاريخ المغرب أن يسـتغني على هذا الكتاب، إضـافة الى كتابه الذي خصـصـه للدولة المرينية " **الذخيرة السـنية في تاريخ الدولة المرينية** "، الذي ذكر فيه تاريخ هذه الدولة بشيء من التفصيل، كما أن له كتاب مفقودا تحت عنوان " **زهرة البسـتان في أخبار الزمان وذكر الموجود مما وقع الوجود** "، وبالنسـبة لشـيوخه الذين تلقى عنهم وكذلك تلاميذه فلا تذكر المصادر عن ذلك شيئا بما فيها كتبه سالفة الذكر.

صفـــــاتـــــه:

تباينت مواصـفات المؤلفين والمؤرخين حول شـخصـية ابن أبي زرع الفاسـي، ولا نسـتطيع ترجيح قول مؤلف عن الآخر، وذلك بسـبب ضـياع ترجمته، وقد ذكره الحلبي في الدر النفيس[1] على أنه من عدول فاس، وأضــاف أيضــا:" ومنهم الباهر ذو الســر الباهر عمدة أهل المغرب في التاريخ الشــهير بكتاب الأنيس والقرطاس، وهو أبو عبد الله بن أبي زرع هكذا وجدته.

ويقال: أبو الحسـن، ذكره الإمام الولي الصـالح العارف بالله تعالى سـيدي احمد زروق، وتعجب من صـــنيعه، في شـــرحه أرجوزة أبي العباس ابن البناء وأثنى عليهما [2]، وقد عده ابن خلدون فيمن يعتمد عليهم في ذكر الأخبار في كتابه، وقد نعته أيضــا وذكره ابن الخطيب التلمســاني في أول كتابه

[1]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:482.

[2]- المرجع نفسه، ص:482.

الإحاطة مع من ذكره أنه كان عدلا ثقة في سماط العدول من فاس عند الجامع القروي وهو ذو علم وبراعة ولفظه يدل على ذلك وصنيعه في كتابه [1].

وعلى العموم فإن شهرة الكتاب على أنه جاء ملما بتاريخ المغرب الأقصى وبالأخص مدينة فاس زاد من شهرة كاتبه ابن أبي زرع الفاسي، ونستنتج أن المؤلف كانت له شهرة، حتى ولو لم ترقى إلى شهرة معاصريه، فالدليل في ذلك اعتماد العديد من المؤرخين الذين جاؤوا بعده في كتاباتهم وبالأخص إذا كان الموضوع يتعلق بالمغرب الأقصى ومدينة فاس.

كما يضيف عبد الله كنون في كتابه على أنه على قدر صالح من علم الفقه وصناعة التوثيق والحساب مما يقتضي انتصابه لوظيفة العدالة وقد عهدنا في العدول ولا سيما المبرزين منهم الاعتناء بفن الإنشاء وتحسين الخط ومن ثم فإنهم يتوفرون على مادة أدبية ولغوية لا بأس بها [2]، وإلى هذا نعود إلى ما نجده عند صاحبنا من عبارات منتقاة وجمل بليغة وحسبك منه هذه الخطبة البارعة التي جعلها لكتابه القرطاس.

ومن أبرز صفاته الإيمان العميق ومحبته أهل البيت وتعظيم العلماء ومشايخ الدين [3] كذكره للإمام إدريس الحسني " هو الإمام القائم بالمغرب الأقصى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[4]، ونجده يكرر هذا الكلام عن إدريس في العديد من مواضع كتابه والترضي عنه [5]، وهو دليل على حبه الشديد لآل البيت، ومن صفاته أيضا الاعتدال وعدم التطرف فهو قد تكلم أصلا وعرضا على زهاء عشر دول ومع ذلك لم ينل من واحدة منهن منالا ولم يظهر تحيزه السافر لواحدة منهن إلا ما كان من عطفه على الأدارسة كما قلنا، وعيبه على موسى بن لأبي

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص:483.

[2]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:484.

[3]- المرجع نفسه، ص:484.

[4]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:20.

[5]- المصدر نفسه، ص:22-23

العافية تنكيله بالأشراف [1]، وذكر ذلك ابن أبي زرع في الأنيس المطرب " فنزل عليهم ابن أبي العافية واشتد عليهم الحصار، وأراد استئصالهم وقطع دابرهم "[2]

هذا الرغم من الشهرة الواسعة التي حضي بها ابن أبي زرع الفاسي من خلال كتابيه وعدم الاستغناء عنما وبخاصة لدارس لمغرب الاقصى، واقتران اسمه بتأليف أهم كتاب تاريخي للمغرب منذ استقلاله عن الخلافة العباسية إلى قيام الدولة المرينية، لا نعرف عن تاريخه شيئا ولا عن حياته ولا حتى عن أسرته، إلا القليل الذي لا يغني عن معرفته [3]، ولكن على الرغم من هذا سنحاول الإلمام بما يخص ويدور حول هذا الكاتب ومعرفة أحواله وجزء من حياته وأسرته بما توفر لدينا من بعض الشذرات الموجودة في طيات الكتب والمعاصرين له.

مكانته العلمية:

إن الغموض الكبير الذي يدور حول شخصية مؤرخنا يدعونا الى ان نقر انه من الصعب أن نذكر له تاريخ لولادته أو شيئا عن نشأته او شيئا عن أسرته، وقد رأى أننا لم نصل إلى معرفة اسمه إلا بعد عرق القربة، ولكن نستطيع أن نشير إلى بعض أحواله التي تُفهم من كلام للشيخ أحمد زروق جاء ذكره فيه عرضا، وفي حديثه عن ابن بناء السرقسطي، ولكنه ذكر فقال: " وألف كابن أبي زرع صاحب التاريخ وغيره [4].

هذا الكلام لزروق في ابن البناء السرقسطي، ويهمّنا هنا تلك اللمحة التي وردت اثناءه عن ابن أبي زرع صاحب التاريخ، وهي أنه أيضا كان غير مشهور بالعلم مع أنه ذو مكانة فيه وعدّ من عجائب فاس إذ كان من عامتها وألف الكتب... [5].

1- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:485.

2- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:84.

3- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:468.

4- المرجع نفسه، ص:480.

5- المرجع نفسه، ص:480.

ويجدر الإشـــارة أنه ينبغي أن يعرف أن المراد بالعامية التي ذكرها ابن زروق هو عدم الشـــهرة بالعلم والتصدر في مناصبه المعهودة كالتدريس والفتوى والقضاء، أو على الأقل عدم المشاركة في فنونه المختلفة، وهذا الأمر كان معهوداً ومتداولا في ذلك العصر خاصة عند مؤلفي التراجم من الأندلسيين أو المغاربة.

وهذا هو معنى العامية إذ أطلق عند العلماء، ومنه يؤخذ أنهم يعنون بالعوام في هذا الصـدد الذين لم يحصلوا القواعد ولم يتقنوا الأصول، وإن كانوا على جانب من العلم لا يستهان به [1].

ومن هنا نعلم ســـر عدم ذكر هؤلاء في كتب التراجم والطبقات لأن أصـــحابها لا يعترفون بعالمية هؤلاء وأمثالهم، وهم حين لا تكون لهم شـهرة بالعلم في زمنهم لا يجرؤون على إظهار آثارهم، فتضـيع أخبارهم، وربما ضاعت آثارهم أيضا كما وقع لصاحبنا ابن أبي زرع [2].

[1]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:481.

[2]- المرجع نفسه، ص:481.

الفصل الثاني:

منهجية الكتابة من خلال مؤلفات ابن أبي زرع

- تقديم لمؤلفات ابن ابي زرع الفاسي.
- محتوى الأنيس المطرب والذخيرة السنية.
- طريقة ابن أبي زرع في كتابة الأنيس المطرب والذخيرة السنية.

تقديم لمؤلفات ابن أبي زرع:

-كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس:

إن الدارس لتاريخ المغرب الإسلامي، في العصر الوسيط يدرك أهمية الانتاج التاريخي المتعلق بهذه الفترة، التي شـــهدت تقلبات ســـياســـية واجتماعية عديدة، خلقت نوعا من الاختلاف والتباين بين مراحلها تلك، رغم أنه يلتقي في معظمه عند الاهتمام بتأريخ الرسمي للدول وذكر الأســـر الحاكمة ورجـالات البلاط، والطبقـة المتنفـذة في الـدولـة، فكـان روض القرطـاس للتعريف بالـدول الأولى التي حكمت المغرب، وبتاريخ مدينة فاس، من الكتب التي طبقت شـــهرتها الأفاق الأوربية، إذ ترجم في ظرف مئة سنة إلى أربع لغات، الألمانية والبرتغالية واللاتينية والفرنسية [1].

وما واجهنا في البداية، هو الخلاف الواقع في نســـبة الكتاب للمؤلف ابن أبي زرع، إذ أن صـــاحب كتاب ســـلوة الأنفاس، محمد بن جعفر الكتاني [2]، حين تعرض لذكر كتاب الأنيس المطرب، قال" كما قال الشـــيخ الإمام الثقة الثبت، الماهر الحجة، عمدة أهل المغرب في التاريخ، صـــالح بن عبد الحليم، في كتابه: الأنيس والقرطاس، ما نصه..." [3]

أما في الجهة المقابلة نجد أن كل من ذكر القرطاس أو الأنيس، فإنه ينســـبه لابن أبي زرع ولم نرى من نســـبه لصـــالح بن عبد الحليم غير المؤلف المذكور.... فهذا ابن خلدون في العبر وابن الخطيب في

1- ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط،1397هـ-1977م، ص:18

2- محمد بن جعفر الكتاني، ولد بفاس سنة 1274هـ-1857م، أخذ عن مجموعة من الشيوخ، والقضاة منهم القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان العلوي وأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن ســـودة وغيرهم، رحل إلى الحجاز عام 1321هـ ورجع إلى فاس ســـنة 1325هـ، ثم عاد للهجرة مع أهله هذه المرة عام 1327هـ، وعاد إلى المغرب ســـنة 1345هـ، إلى أن توفي بفاس في 16 رمضـــان1345هـ، **ينظر**: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشـــيخات والمســـلســـلات، باعتناء: إحســـان عباس،ج:1:،ط:2، دار الغرب الاســـلامي، بيروت، 1402هـ-1982م،ص-ص: 515-517

3- محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: محمد حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الحجرية، فاس، د: س، ص: 1.

الإحاطة، والجزنائي في زهرة الآس، وابن القاضـــي في الجذوة، والمقري في النفح وغيرهم من المؤرخين الأثبات والنسابين الحفاظ، كلهم ينسبونه لابن أبي زرع [1].

يقع القرطاس في خمسـمائة وسبعة عشـر صـفحة، من الحجم المتوسـط، اسمه الكامل " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**"[2]، وهـذا في مقـدمـة دار المنصـور التي أقرته بعد استعراضـها لمزاعم بعض المستشـرقين، القائلة بأن كلمة القرطاس مصـححة عن القرطاس، وهو لقب زيري بن عطية المغراوي، غارس الزيتون، الذي يمر في وسطه سور فاس، بين باب فتوح وباب الجديد، وأن روض القرطاس المحرف إلى القرطاس هو زيتون ابن عطية، وكان من متنزهات فاس الشهيرة في العصر الوسيط [3]

ألف الكتاب حوالي سنة ست وعشرين وسبعمائة، كما يستنتج من كلام صاحبه خلال حديثه عن الخليفة المريني أبي سعيد: " فهو الخليفة من وقتنا هذا، وهو سنة ست وعشرين وسبعمائة، أطال الله أيامه وخلد ملكه ونصر أعلامه " [4]، كما يفهم من تاريخ آخر خبر في آخر صفحة من صفحات الكتاب " وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله تعالى ونصره ببناء القنطرة آخر سوق الدباغين"

ولســنا ندري على وجه التحقيق، في أي زمن اتصــلت جماعات المســتشــرقين الأوروبيين بهذا الكتاب، وكل ما نعلم أن أول ترجمة له قام بها بتس دولكروا الى الفرنســية، ختمها بتاريخ 28 نوفمبر1693 ميلادية، وثاني ترجمة كانت الى الألمانية في أواخر القرن الثامن عشر لمسيحي نمساوي، فانز فان دوانباي في مدينة زوغرابي وثالثها ترجمة إلى البرتغالية مع عدة تعاليق بقلم جوزي دو ســانتو

1- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:473.

2- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:14

3- المصدر نفسه، مقدمة دار المنصور ص:02، وأيضا، على الجزنائي، المصدر السابق، ص:43

4- المصدر نفسه، ص:395.

أنتونيو، طبعت في لشبونة سنة 1828م، وترجم كوند ما يختص بالأندلس إلى الإسبانية [1]، وفي سنة 1834نشر المستشرق السويدي ك-ج طونبرج قسما منه، وفي سنة (1843-1846)نشر ذلك العالم نصـــه بأجمعه مع ترجمة لاتينية وعدة تعاليق في أربعة أجزاء، وذكر في مقدمته[2]، أنه أعتمد في اخراج طبعته، وترجمتها على تسع نسخ مخطوطة لهذا الكتاب، وأنّه عاني الأمرين في طبعه، إذ وجدت عدة فقرات لا تكاد تقرأ في تلك المخطوطات الحاوية لعدة أغلاط خصوصا، أسماء الاعلام والأشعار الواردة في نص الكتاب، ومخطوطا الكتاب التي اعتمد عليها العالم الســـويدي، توجدا في مكاتب أوروبا، فالمخطوط الأول منها في مكتبة أوبسالة (السويد) نسخ بين 10ذي القعدة وذي الحجة سنة (908هـ) ويقول، ناسخها أنه كتبها لأحمد بن الحسن الجذولي، ثم الأفراني في مدينة (تنبكتو) المخطوط الثاني في فيسبي (السويد) سمي الكتاب بالقرطاس في عجائب فاس، المخطوط الثالث في مكتبة جامعة ليدن الهولندية فرغ من نسخة في (15شعبان 989هـ).

والمخطوط الرابع، في المكتبة الوطنية بباريس، فرغ من نســـخه في يوم الخميس (07ربيع الثاني 971هـ)، موسى بن محمد بن موسى الجماري، للقائد زكريا بن أبي بكر، والمخطوط الخامس، في مكتبة خاصـــة بباريس، والمخطوط الســـادس، اختصـــار للكتاب كان الفراغ من نســـخه يوم الســـبت (03محرم775هـ)، بيد عيســـى بن عبد الرحمان بن عبد المؤمن الحاجي، والمخطوط الســـابع، في مكتبة جامعة أكســـفورد مكتوب على ظهره، " **كتاب روض القرطاس في تاريخ مدينة فاس تلخيص الأنيس المطرب في أخبار المغرب** " والمخطوط الثامن، في أكسـفورد أيضـا يسـمى: **كتاب الأنيس المطرب على روض القرطاس**...الخ [3].

---

[1]- سعيد حجي، البدايات الأولى لإحياء التراث بالمغرب، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، السنة 23، ع: 04،1402هـ-1982م، ص:111

[2]- سعيد حجي، المرجع نفسه، جاء فيها على لسان سعيد حجي: أن السيد غابريال جيرمان الأستاذ بمدرسة غورو، بالرباط قد أطلعه على محتويات تلك المقدمة.

[3]- المرجع نفسه، ص :113

والمخطوط التاسع، في أكسفورد أيضا يصف مؤلف الكتاب بقوله: " يقول الفقيه الأصغى المؤرخ، المتقي الأريب أبو الحسن ابن عبد الله بن أبي زرع الفاسي الدار والقرار "، وفي سنة (1860م)، ترجمه الى الفرنسية ترجمة جديدة أ. بومي، والذي كان نائبا عن خليفة قنصل فرنسا في الرباط وسلا وكتب له مقدمة في 10صفحات، أما في المغرب فقد طبع على المطبعة الحجرية الفاسية، أربع مرات أولها في سنة 1303[1].

– كتاب الذخيرة السنية في الدولة المرينية:

اسم هذا الكتاب كما ورد في مقدمته (**الذخيرة السنية، في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية**) وكان لفترة من الزمن ينسب لمجهول ولم يعرف الكتاب رواجا على أهمية ما فيه من أخبار، فلم يقع النقل عنه في قديم ولا حديث، إلا اشارة عابرة في كتاب (**روضة النسرين، في دولة بني مرين**) تأليف إسماعيل بن الأحمر الذي سماه (**الدرّة السنّية**) [2]

تعتبر الذخيرة من الكتب المفيدة في تاريخ الدولة المرينية وملوكها الأولين، عبد الحق وأبنائه الأربعة، أبي سعيد، وأبي معرف أبي يحي وأبي يوسف، والأحداث الهامة التي جرت في أيامهم سواء بالمغرب أو الأندلس أو المشرق ومنها وفيات بعض الأعيان والعلماء وغيرهم، ولذلك أصبح هذا الكتاب مصدرا معتمدا لدى الباحثين منذ قام بنشره محمد بن شنب 1920بالجزائر [3].

ثم أعادت دار المنصور بالمغرب، نشر هذا الكتاب سنة(1972م)، معتمدة على نسختين، الأولى هي التي نشرها محمد بن شنب والنسخة الثانية خطية، تحصلت عليها من خزانة حسن حسني عبد الوهاب من تونس تقول دار المنصور أنها مبتورة الآخر، كتابتها رديئة وبأكثر ورقاتها آثار رطوبة تجعل قراءة النص صعبة أحيانا [4].

1- سعيد حجي، المرجع السابق، ص :113

2- ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص: 5

3- نشره محمد بن شنب دون تعليق أو تحقيق ودون مقدمة **ينظر**: تحت عنوان مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، في تاريخ الدولة المرينية، مطبعة جول كربوك الجزائر 1920.وذلك قبل التأكد من نسبة الكتاب الى ابن ابي زرع.

4- كان رأي دار المنصور في نسخة محمد بن شنب أنها مليئة بالأخطاء شكلا وموضوعا وأيضا رأيها في نسخة تونس، **ينظر**: تق : دار المنصور، الذخيرة السنية، المصدر السابق، ص–ص: 6-7 .

وما يزيد من قيمة الكتاب أنّه رغم عنوانه والهدف من تأليفه، مصـــدر لدراســـة تاريخ المغرب الأوسـط في العهد الزياني، غداة انحلال الامبراطورية الموحدية في منتصـف القرن السـابع الثالث عشـر ميلادي وقيام الدولة الحفصـــية بتونس والدولة الزيانية بتلمســـان والدولة المرينية بفاس، على إنقاض الدولة التي أسسها المهدي بن تومرت [1].

لم يذكر محمد بن شنب حينما نشر الذخيرة السنية، اسم مؤلف الكتاب، وهذا طبعا ليس تقصيرا منه بل ربما جاءه المخطوط بدون تقييد لاســـم صـــاحبه، ثم جاء باحثون مغاربة رجحوا أن تكون الذخيرة لابن أبي زرع، وهذا بعد مقارنة الأسلوب والمضمون في الكتابين، كان من بينهم عبد الله كنون الذي نشـر في مجلة تطوان العدد الثاني من سـنة(1957م)، مقالا تحت عنوان "**مؤلف الذخيرة السـنية هو مؤلف القرطاس** " [2].

جاء الكتاب في 163 صفحة قسمها صاحبها على عشرة أبواب:

- الباب الأول: في ذكر بني مرين قبائلهم ونسبهم.
- الباب الثاني: في ذكر الأمير أبي محمد بن عبد الحق بن محيو وسير أولاده وفضله
- الباب الثالث: في ذكر الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق.
- الباب الرابع: في ذكر الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق.
- الباب الخامس: في ذكر الأمير أبي يحيا بن الحق.
- الباب السادس: في ذكر خلافة يعقوب بن عبد الحق.
- الباب السابع: في ذكر خلافة الأمير يوسف ابن يعقوب.
- الباب السابع: في ذكر خلافة الأمير يوسف ابن يعقوب.
- الباب الثامن: في خلافة الأمير عامر ابن عبد الله ابن يوسف ابن يعقوب.

---

[1]- محمود بوعياد، من آثارنا المغمورة، مجلة الأصـالة السـنة الأولى، ع: الرابع، المؤسـسـة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2012م ص:231

[2]- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج:4، ص:5، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص:306 .

– الباب التاسع: في خلافة الأمير سليمان ابن عبد الله ابن يوسف.

– الباب العاشر: في خلافة أبي سعيد عثمان أبن يعقوب بن عبد الحق.

أما في طبعة محمد بن شنب فكان عدد الصفحات 235، ضمت فهرسة الأبواب وفهرسة أسماء الرجال والنساء والقبائل وفهرسة أسماء الأماكن وفهرسة أسماء الكتب وفهرسة الأبيات وتصحيح الأغلاط المطبعية وغيرها، وبقي أن نذكر أنّ كلتا الطبعتين جاءت ناقصة وتوقفت عند الباب السادس حيث قال محمد بن شنب " هذا ما وجد من هذا الكتاب "[1].

[1] - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص:189

محتويات الأنيس المطرب والذخيرة السنية:

-محتويات كتاب الأنيس المطرب:

يستطيع الباحث في تاريخ المغرب الإسلامي، أن يستفيد من المعلومات المتنوعة التي وردت في الأنيس المطرب، لأنها تلقي الضوء على جوانب من حياة الإنسان المغربي في العصور الوسطى، لذلك نجده في مؤلفه، يجمع بين الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الجوانب السياسية

اتخذ ابن أبي زرع طريقة واحدة في ذكر الدول التي أرخ لها، حيث بدأها بدولة الأدارسة التي أظهر من خلال كلامه عنها، تقديره لشخص إدريس لاتصال نسبه بالرسول صلى الله عليه وسلم، فكان عند ذكره أو ذكر أحد أبناءه يقول " الإمام إدريس" و"رضي الله عنه".

فكان يقدم لكل دولة بمدخل، يعنونه بـ: "الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم" ثم يذكر الأمراء واحدا تلو الآخر، يبدأ بالاسم الكامل ثم يذكر اسم الأم والكنية ثم صفته كقوله عن الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني "كان أبيض اللون مشربا بحمرة، تام القد بسيط الجسم، حسن الوجه طلق اليدين، يضرب بكلتا يديه، ويرمي بحربتين في حالة واحدة، فارسا شجاعا بطلا..."[1]، ثم يذكر أولاده وحاجبه ووزيره وقضاته وكتّابه وأطباؤه، وفي الأخير يقدم كل منجزات الأمير إلى وفاته.

لكنه رغم هذا لا يقدم تفصيلات عن الدولة ونظامها، كصاحب المن بالإمامة[2] الذي يفصل في هذا الأمر تفصيلا دقيقا، فمن خلال الكتاب نقف على نظام المخزن على ذلك العهد، ونظام المراتب الذي كان يضم السادة والشيوخ والحفاظ، وأهل الخمسين وأبناء الجماعة وأهل الدار، وطلبة الحضر

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:291

[2] - عبد لملك ابن محمد بن احمد بن محمد بن إبراهيم الباجي، المكنى أبا مروان والمعروف بابن صاحب الصلاة، لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده لكن عبد الهادي التازي محقق كتاب المن بالإمامة افترض أن يكون مولده في سبع وثلاثين وخمس مائة للهجرة، عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، ط:3، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص:8

وطلبة الموحدين ثم العمال والقضاة والامناء والسدنة والمزاوير والمشارف والمقدمون وأصحاب الزمام[1] فيقول عن غزوة أبي حفص في الأندلس" وصحبه في هذه الغزوة السعيدة على
عادته أخوه السيد الأسنى أبو سعيد ابن أبيه الخليفة رضي الله عنه وجماعة علية من أبناء أشياخ الجماعة رحمهم الله كأبي عبد الله بن أبي إبراهيم، وأبي يعقوب يوسف بن تيجيت ومن يليهم من أمثالهم من نمطهم ومن حفاظ أهل الخمسين كذلك "[2]

إن قيمة الأنيس المطرب، تكمن في أن صاحبه قد اطّلع على تواريخ فقدت ودخلت في خبر كان من جملتها تاريخ الورّاق، وتاريخ البرنسي، وتاريخ ابن جنون وغيرهم. وقد ظلّ فعلا إلى يومنا هذا هو التاريخ الوحيد لدولة الأدارسة، وبنو أبي العافية ومغراوة وبني يفرن والمرابطين والموحدين وأوائل المرينيين إلى أيام أبي سعيد بن يعقوب المنصور.[3]

الجوانب الاقتصادية

سجل ابن أبي زرع في كتابه الاوضاع الاقتصادية لكل دولة تحدث عنها، ففي معرض حديثه عن فاس يقول "وكان أهل عدوة الاندلس أهل نجدة وشدة وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية ونخوة في البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب وأكثرهم صناع وتجار وسوقة.."[4] وكأنه في هذه الفقرة يريد أن يثبت ذلك الفرق الموجود بين ساكني العدوتين في فاس.

ثم يقول أيضا عن فاس " وبمدينة فاس من أصناف الأزهار والفواكه ما لا يوجد في غيرها من البلاد إلا مفترقة في أقاليم شتى ...وتختص عدوة القرويين بكثرة الأنهار والعيون العذبة والآبار القريبة الطيبة

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص:41

[2] المصدر نفسه، ص:313

[3] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:477

[4] ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص:43

وبها الرمان السفري الذي ليس في المغرب مثله حلاوة ولذة، و التين الشعري ... والعنب والخوخ والجوز والسفرجل والاترج[1].."

كما أنه في معرض حديثه عن دولة زناتة، وتحت عنوان **الخبر عن الاحداث التي كانت بالمغرب في أيام زناتة من مغراوة وبني يفرن وذلك من سنة380 إلى462** يقول "في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة كان قحط شديد ببلاد المغرب والاندلس وإفريقية، جفت من أجله المياه جفوفا كثيرة.. وفيها كانت المجاعة الشديدة بأفريقية والاندلس والمغرب، ودامت المجاعة ثلاث سنين.."[2]

لم يكتفي ابن أبي زرع بذكر الظواهر الطبيعية التي حدثت زمن الدول التي ذكرها، بل ذهب إلى إعطاء النتائج الاقتصادية التي ترتبت عن تلك الظواهر، فيقول " وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة كانت أمطار عظيمة ببلاد المغرب وثلوج كثيرة فعدم البياض[3] والحطب فبيع البياض بمدينة فاس بدرهمين للرطل."

يبدو أن الاهتمام بالجانب الاقتصادي لم يكن مقتصرا على ابن أبي زرع، بل كان سمة من سمات الكتابة التاريخية في العصر الوسيط، فهذا ابن عذارى أيضا، يظهر نفس الاهتمام في كتابه البيان المغرب، وذلك بذكر الأحوال الاقتصادية وما يتعلق بها من ارتفاع الاسعار وحدوث القحط والغلاء والمجاعات والاوبئة، وما ترتب عن ذلك من فتن في لمغرب والاندلس، واهتم كذلك برصد الوجه الآخر للأحوال الاقتصادية، وهي حالة الخصب والرخاء ورخص الأسعار، كما اهتم برصد السيول والحرائق وهبوب الرياح العاتية، فيقول " وفي سنة(260هـ) كانت المجاعة العامة بالمشرق والمغرب والوباء والطاعون."[4]

الاترج: شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، ثمره كالليمون وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة حامض الماء، شعبان عبد العاطي وآخرون، المعجم الوسيط، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ط4: 1425هـ-2004م، ص:4

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:115

[2] البياض هو الفحم من باب تسمية الشيء بضده، ولا يزال هذا الإطلاق شائعا على ألسنة العامة لا سيما بالأرياف إلى الآن، هامش رقم 201، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:412

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج:1، ص: 116، وعن الخصب والرخاء ينظر، ج:1، ص:157

أما عن أيام الخيرات والبركات، يقول ابن أبي زرع " وفي السنة التي ولي فيها أمير المؤمنين يعقوب أنزل الله تعالى على أهل المغرب البركات وفتح عليهم بالخيرات، فرأ الناس فيها من الدعة والخير ما لا يوصف ...بيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم والقمح ستة دراهم للصحفة، والفول وجميع القطاني ما لها سوم ولا يوجد من يشتريها والعسل ثلاثة أرطال بدرهم، والزيت أربعون أوقية بدرهم ولحوم البقر مئة أوقية بدرهم ولحوم الضأن سبعون أوقية بدرهم، والكبش بخمسة دراهم والزيت درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرطال بدرهم."[1] وكأن ابن أبي زرع في هذه الفقرة، يريد القول أنّ الله عز وجل راض على الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق، فكانت نتيجة ذلك أن أنزل معه كل هذه الخيرات والبركات وعم الرخص وانتشرت الدعة بين الناس.

وأضاف إلى كل هذا ذكر بعض المؤسسات الاقتصادية، التي تأسست بفاس ومنها الحمامات والارحاء والفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء، وأحصاها فكانت أربعمائة وسبعة وستين فندقا، كما أحصى الحوانيت والترابيع[2] والاطرزة المعدة لصناعة الحياكة، والديار المعدة لعمل الصابون وديار الدباغ وديار الصباغ وديار سك النحاس والكوش المعدة لعمل الجير، والافران ومواضع عمل الزجاج والديار المعدة لعمل الفخار.

الجوانب الثقافية

أولى ابن أبي زرع اهتماما بالجانب الثقافي من خلال الحديث عن طبيعة الحركة العلمية بداية من دولة الأدارسة، عندما ذكر أهم العلوم التي اعتنى بها هؤلاء، ومنها علوم القرآن والفقه والحديث والنحو والشعر، فيقول عن إدريس الثاني " كان فصيحا، بليغا، أديبا، عاملا بكتاب الله تعالى، قائما

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:302

[2] جمع تربيعة وهي سوق صغيرة مربعة الشكل، يعمل بها بعض الصناع مثل الخياطين ونحوهم ولا تزال هذه الترابيع موجودة بفاس ومسماة بهذا الاسم، المصدر نفسه، ص:48

بحدوده."[1] وعن الدولة المرابطية يقول " فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن...وأخذ يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك."[2]

وقد يكون الحديث عن الجانب الثقافي، في مؤلفات العصر الوسيط، طابعا ميّز هذه الأخيرة، فهذا يحي بن خلدون، يورد في كتابه **"بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد "**، قصائد كاملة ويسمي بحورها، من الطويل والكامل والوافر والبسيط، ثم يذكر علماء تلمسان وأولياءها الصالحين والفقهاء وتبحرهم في الفقه، والأدب والخط وذلك في فصل أفرده لهم سماه " الفصل الثاني في تعداد من أنجبته تلمسان أو استقر بها من العلماء والصالحين"[3]

أما الدولة المرينية، فذكر ابن أبي زرع، مدى اهتمام السلطان يعقوب بن عبد الحق (ت685هـ-1286م) بالحركة العلمية من خلال بنائه للمدارس والصرف عليها[4]

كما أنه أفرد مساحات واسعة ومهمة، لوفيات أعيان معظم الدول التي تناولها، فشملت وفيات الأمراء والفقهاء والعلماء، فقدم لأخبار الوفيات في دولة الادارسة ودولة زناتة ودولة المرابطين ودولة الموحدين وأيضا عن الدولة المرينية المعاصرة له حيث قدم لها ثلاثين حالة وفاة.

لم يغفل ابن أبي زرع عن النشاط العمراني، من بناء المدن والأسوار وحفر القنوات وأول هذا النشاط تمثل في بناء وتأسيس مدينة فاس، فيروي لنا عن محاولة ادريس الثاني البحث عن المكان المناسب لهذه المدينة فيقول: " وذلك في سنة تسعين ومئة، فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه: فبنى جزءا من صورها فأتى السيل من أعلى الجبل في بعض الليالي: فلما رأى ذلك ادريس رضى الله عنه رفع يده من البناء "

---

[1] ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص:25، هذه الفقرة في وصف إدريس الثاني، نجدها في كتاب الدرر السنية وهي مأخوذة من الانيس المطرب، – علي السنوسي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب مصر،1349هـ، ص:58

[2] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:125

[3] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة سيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص-ص:23-27

[4] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:298

ثم انتقل ادريس الى مواضـــيع أخرى فاختار منطقة وادي ســـبو " فعزم على أن يبني فيه المدينة، وشـرع في حفر الأسـاس: فابتدأ بالبناء ثم نظر الى وادي سـبو وكثرة ما يأتي به من المدود العظيمة في الشـــتاء، فخاف على الناس المهلكة: ورفع يده عنها ورجع الى مدينة وليلي "[1]، وفي محاولات كثيرة بعث ادريس الثاني وزيره عمر بن مصعب الأزدي ليجد له موضعا يبني فيه المدينة: " حتى وصل الى فحص الســـايس فوجد فســـحة الأرض واعتدالها وكثرة المياه وأعجبه ما رآه من ذلك فنزل هناك على عين ماء غزيرة مطردة في مروج مخضـــرة...وأمر قومه أن يقعدوا ينتظرونه عند تلك العين حتى يعود إليهم، فنسبت العين اليه وسميت به، عين عمير[2] الى الان... "[3]

وذكر منجزات الدول التي أوردها في كتابه الى أن وصل الى الدولة المرينية وعصر السلطان يعقوب بن عبد الحق وذكر أنه من أهم ما ميز مدة حكم أبي سـعيد عثمان أنه عمل على انشـاء العديد من المدارس وخصص لها الأوقاف للصرف عليها وبنى الأسواق والحوانيت التجارية، فضلا عن بناء العديد من المدارس وخصص لها الأوقاف للصرف عليها.

- **محتويات الذخيرة السنية:**

سبق أن تعرضنا في المواضيع السابقة إلى الشبه الكبير بين محتويات الأنيس المطرب والذخيرة السنية، لذلك سـوف نحاول في هذا المبحث التعرض للمواضـيع التي جاءت مختلفة عن الأنيس المطرب، تجنبا للإعادة والتكرار.

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:30.

يقول طارق يشي " وهناك تبرز أول اشارة طبونيمية عن مدينة فاس، ويبرز نوع من الهم الطبونيمي " عند ابن أبي زرع عندما ذكر نسبة عين عمير الى هذه الشخصية **ينظر**: طارق يشي مجلة كان التاريخية، رؤية جديدة في تاريخ التأسيس ودلالات التسمية، دار [2]الناشر للنشر الالكتروني، الكويت، السنة الثامنة، العدد: 28 ،1436-205، ص:26.

يقصد بالطبونيمية أو الأماكنية " العلم الذي يدرس أسماء وأعلام الأماكن ذات العلاقة بالإنسان سكانا وارتيادا بغية الوصول الى فهم علاقة الاسم بالمسمى وتفسيرها وإدراك الصلات التي يقيمها الانسان مع هذه الأماكن من خلال البحث عن معانيها وتفسيراتها، والطبونيميا مصطلح يوناني مشتق من كلمتين توبس ويعني مكان وأنوما وتعني الاسم **ينظر**، الهامش، رقم(2)، دورية كان التاريخية، مرجع سابق، ص:32.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، طبعة أوبسالة، المصدر السابق، ص:14.

لقد خالفت الذخيرة الكتاب الآخر، بذكرها لأهم الأحداث التي وقعت في العالم الإسـلامي، في أثناء السنة التي ذكر فيها المؤلف أحداثها المغربية، أخبر عن ذلك في مقدمة الكتاب، فبعدما قال: أنه ألف كتابا لتدوين أخبار بني مرين، زاد قائلا "وما وقع من الحوادث في الوجود في أيامهم "[1]

ومما يلاحظ في كتاب الذخيرة، أنه خاص بتاريخ الدولة المرينية، وأيضـــا كثرة وتناثر الأبيات والقطع الشعرية وتراجم بعض العلماء فيه، فقسم كتابه إلى عشرة أبواب أولها في ذكر بني مرين وقبائلهم ونســـبهم ودخولهم المغرب وظهور ملكهم، وخص الأبواب الاخرى لذكر أمرائهم، بادئا بجدهم عبد الحق، ثم تلاه الكلام عن أبي ســـعيد عثمان، فمحمد بن عبد الحق، ثم أبي يحي بن عبد الحق، وأبي يوسف، ثم أبي يعقوب، فأبي ثابت، وأبي عامر ثم أبي الربيع سليمان، وأخيرا أبي سعيد الذي خص له الباب العاشر.

وزيادة على الأبواب العشـرة، قسـم المؤلف كل باب إلى فصـول، تتفاوت في الطول تبدأ أغلبها بالعبارة التالية (الخبر عن...)، ورتب أكثر الأحداث على الســـنين، ولم يعطي نفس الأهمية للأخبار كلها، فبجانب الخبر المطول المجاوز للصـفحة، نجد الخبر الذي لا يأخذ إلا بضـع كلمات، كقوله على سـبيل المثال "سـنة ثمان وسـتمائة فيها ولد محمد بن إدريس بن عبد الحق وفيها كانت غزاة شـربطة وفتحها، وفيها كانت ملاقاة أمير المؤمنين الناصـر مع ملك قشـتيلة النصـراني بالعقاب فهزم المسـلمون وقتل منهم خلق كثير لا يحصر، وفيها فنى جيوش المغرب والأندلس." [2]

وأدرج المؤلف في آخر الباب الثالث "في ذكر الأمير أبي ســـعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله "[3]فصلا سماه "ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت من أول المئة السابعة ."، وهذا بعد أن سرد أخبار السـلطان وذكر وفاته في سـنة ثمان وثلاثين وسـتمائة، فكأنه برجوعه الى خلف تدارك نقصـا بعد إتمام الكتاب، فزاد فصـــلا في آخر هذا الباب الثالث ذكر فيه أخبار جديدة فاته ســـردها في الأبواب

[1] - ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:6

[2] نفسه، ص 47.

[3] -نفسه، ص: 34

السابقة، ودون المؤلف طيلة الكتاب أهم الأحداث التي وقعت بالمغرب وباقي العالم الاسلامي، كوفيات العلماء والملوك، وتشييد بعض الأبنية من مساجد وأبراج و أسوار، وهذا ما ذهب اليه المؤرخ عبد الواحد المراكشي أيضا، عندما تعرض للجانب العمراني في معرض حديثه عن أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن واهتمامه بالتشييد والبناء فقال " زاد في مدينة مراكش في أيامه، زيادة كثيرة-يطول تفصيلها-فتمت له هذه القصور المذكورة على ما أراد وفقته، وسمي ذلك الحصن حصن الفرج ".[1]

ووجدنا لهذا الكتاب ميزه كبيرة في ذكر الأحداث وتفصيلها، فجاءت الذخيرة مشحونة بالأخبار السياسية والعسكرية، والأخبار العلمية وبعض المعلومات الاقتصادية والاجتماعية، ومما يزيد الكتاب أهمية في نظرنا، هو اعتناء المؤلف الكبير بالعلاقات بين ملوك فاس وملوك تلمسان، وهذا لا يزيد الكتاب الا أهمية بالنسبة لتاريخ بني زيان وتاريخ المغرب الأوسط في عهدهم. [2]

امتاز كتاب الذخيرة السنية ايضا بالدقة في سرد الأخبار وتفصيلها فجاءت أكثر دقة من روض القرطاس ومن مصادر أخرى، ولتوضيح هذه المسألة فضلنا عرض مثال يتعلق بتاريخ الدولة الزيانية، وهو خبر تحالف أبي دبوس آخر خلفاء الموحدين سنة (666هـ-1207م) مع يغمراسن بن زيان سلطان تلمسان، فقال صاحب الذخيرة " فلما رأى أبو دبوس مناله من شدة القتال والحصار وفساد الزرع، ونسف الآثار، وانتشرت المجاعة في بلاده وغلت الأسعار، بعث الى يغمراسن بن زيان أمير تلمسان يستصرخه على أمير المسلمين أبي يوسف ويقول له "كن معي يدا واحدة على حربه " وبعث اليه بهدية سنية فاتفقا على حرب أمير المسلمين ابي يوسف، فشن يغمراسن الغارات في أطراف بلاد المغرب، وبلد ملوية فاتصل الخبر بأمير المسلمين..." [3]، وبعد قراءة الخبر يتبين، وجود خبرين

---

[1] -عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت،1326 هـ-2005م، ص:207.

[2]- محمود بو عياد، المرجع السابق، ص:236.

[3] - ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:130.

تفصيليين زائدين عما وجد في روض القرطاس وهما، ذكر الهدية والثاني تحديد موقع هجوم يغمراسن على بلاد بني مرين، حتى يشغلهم عن أبي دبوس [1].

ومن مزايا الكتاب تجنب المؤلف الطعن في بني عبد الوادي، الأعداء الدائمين للدولة المرينية، وهذا خلافا لما قام به، صاحب روضة النسرين، الذي وصف الزيانيين بالآتي"... ممن لهم الغلبة على أعدائهم من بني عبد الواد المحقرين، الأذلة المصغرين، حيث هم لبني مرين نهبة أسيافهم والمجدلين بفرقهم في أخيافهم وأسيافهم، "وقال في ذكر امارة الأمير يغمراسن بن زيان العبد الوادي " فأولهم جدهم يغمور، الذي في قبره من خوف مرين مغمور." [2]

أما ابن أبي زرع، فقال واصفا يغمراسن " إن يغمراسن رحمه الله، كان من الفرسان الأبطال، لا تؤمن غوائله، ولا تنسى في الحروب مكائده، إذا من عطية أغنت وحزم وإقدام، وكرم وانعام...لكنه مع شجاعته تصحبه النحوس ويدرك بدره الكسوف والنسوف." [3]

يقول محمود بو عياد، عن ابن أبي زرع في مجلة الأصالة " إنها النزاهة النادرة خصوصا إذا تذكرنا، علاقة صاحب الكتاب بالدولة المرينية، فهو يعترف بأن يغمراسن لم يكن انهزامه جبنا، إنما هو الحظ الذي لم يحالفه. [4]

إن كتابي الأنيس المطرب والذخيرة، من ذخائر مخزوننا العلمي الكبير، الذي لازال بحاجة إلى الدراسة والتحقيق، فهذا المحتوى العظيم لا يمكنه إلا أن يفيد العالم الإسلامي ويرفعه إلى درجات الكمال، ويبرهن على أن عصورنا الوسطى، لم تكن مظلمة بالجهل، بل على العكس، كانت مشرقة

[1] - محمود بو عياد، المرجع السابق، ص:237.

[2] - اسماعيل بن عبد الأحمر، المصدر السابق، ص-ص:44-45.

[3] - ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:151.

[4] - محمود بو عياد، المرجع السابق، ص:237، أما نحن فنرى، أن ابن أبي زرع كان ينظر بعين العالم العارف، الذي لا يفرق بين قطر إسلامي وآخر، والمغرب الأوسط والأقصى وطن واحد.

في كل مجالات العلم، الذين تركوا لنا هذه الثروة الكبيرة والتي يجب أن نعطيها حقها من الجمع والدراسة والنشر.

-أوجه الشبه بين الأنيس المطرب والذخيرة السنّية:

إن التشابه الكبير المشاهد في جوانب عدة بين روض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي والذخيرة السنية، دفع الباحثين الى عقد المقارنة بينهما لإثبات أن صاحب الذخيرة هو المؤرخ ابن أبي زرع ونظرا لأهمية هذا العمل، أردنا تقديمه تعميما للفائدة.

أولا: معاصرة المؤلف أو المؤلفين لنفس الملك، وهو أبو سعيد عثمان الذي تولى الملك سنة (710هـ-1310م) وهناك أدلة كثيرة على هذه المعاصرة، منها الدعاء في الكتابين لأبي سعيد بخلود الملك وبطول أيامه.

ثانيا: انتهاء الكتابين في نفس الفترة، وقد فرغ ابن أبي زرع في تدوين روض القرطاس سنة (726هـ-1326م)، حسب طبعة أوبسالة وسنة (723هـ-1323م) حسب طبعة فاس، في عهد السلطان أبي سعيد الذي توفي سنة (732هـ-1331م)، ورغم أن القسم المطبوع من الذخيرة السنية لم يتجاوز أخبار سنة (679هـ-1270م)، في الباب السادس، فان المؤلف ذكر في مقدمة كتابه أنه قسمه الى عشر أبواب آخرها " الباب العاشر في خلافة ملك الزمان...أمير المسلمين أبي سعيد...أطال الله أيامه، وخلد ملكه ونصر أعلامه... "[1]، وصاحب الذخيرة هو أيضا ختم تاريخ الحوادث في عهد السلطان أبي سعيد. [2]

ثالثا: مطابقة الكتابين أحدهما للآخر في تصميمها لسرد الأخبار رغم أنه في روض القرطاس بدأ التأريخ ابتداء من الدولة الإدريسية ودخول ادريس الى المغرب مارا بالمرابطين، فالموحدين ثم المرينيين بينما يكتفي في الذخيرة السنية بالقسم المتعلق بالمرينيين. [3]

وهناك أمثلة كثيرة على تطابق الكتابين في كثير من الفقرات، اكتفينا بمثالين للدلالة على تشابههما.

---

[1] - ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص-ص:7-8.

[2] - محمود بو عياد، المرجع السابق، ص:232

[3] - صاحب المقال هو الأستاذ صاحب الامضاء، كذا وجدت في العدد التاسع من السنة الرابعة عشر لإصدار مجلة دعوة الحق صفحة157في شوال1391هـ-1971م والمقال بعنوان " الذخيرة السنية قسم مطول في روض القرطاس".

قال في روض القرطاس" إني لما رأيت مكارم دولته السـعيدة أطالها الله وخلدها وأعلى كلمتها وأيدها، تنظم نظم الجمان، وصور محاسنها تتلى بكل لسان وغرر مآثرها تشرق بكل ناحية ومكان وغرر أقدارها تلهى عن الغزل، وتسير سير المثل، أردت خدمة جمالها والتقرب الى كمالها والتفيء بظلالها، والورود من عذب زلالها، بتأليف كتاب... [1]

ويقول في الذخيرة " واني لما رأيت الخلافة العبد الحقية العثمانية باهرة وغرر مآثرها الكريمة على أوجه محاسنها ساخرة وأخبار مكارمها ومآثرها تنظم نظم الجمان، وصور فضائلها تتلى بكل لسان وشموس عوارفها وأنوار محامدها تشرق بكل أفق ومكان أردت خدمة جلالها والتقرب الى كمالها والتفيء بظلالها والورود من عذب زلالها، يتألف كتاب... [2]

رابعا:

العناوين في الكتابين

وقد اختلف الكتاب اختلافا طفيفا في سرد الأخبار، فان المؤلف قسم الذخيرة على أبواب ثم رتب الأخبار داخل الباب على السنين، بينما ذكر التواريخ في روض القرطاس في سياق الحديث فيقول" وصل فلان يوم كذا"، و"كان ذلك في سنة كذا" أما العناوين فكانت متشابهة ومثال ذلك:

في الذخيرة السنية:

الباب الأول في ذكر بني مرين.

-الخبر في نسبهم الصريح ونجارهم العلي الصحيح.

-الخبر عن دخولهم المغرب....

الباب الثاني في ذكر الأمير أبي محمد عبد الحق بن محيو[3].

---

[1] -ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:03

[2] – ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:06.

[3] - ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:14.

أما في روض القرطاس:

-الخبر عن نسبهم الصحيح وحسبهم العلى الصحيح.

-الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السني المعجب.

-الخبر عن دولة الأمير المبارك أبي محمد عبد الحق. [1]

خامسا: طريقة سرد الأحداث:

يتخذ في الكتابين طريقة ذكر السنة ثم يسرد الأحداث التي وقعت فيها وهي في الذخيرة أكثر ضبطا وتنظيما وأكثر تفصيلا وتدقيقا من روض القرطاس رغم أن بعض الكلام الزائد في الذخيرة وضح كثيرا من الأمور، وسنرى نموذجا عن ذلك في الخبر الخاص يفتح سجلماسة وهو خبر مهاجمة السلطان المريني أبو يوسف سنة (673هـ-1274م) لمدينة سجلماسة التي كانت تابعة لحكم الزيانيين ملوك تلمسان.

قال في روض القرطاس:

" وفي شهر رجب من سنة اثنين وسبعين خرج أمير المسلمين أبو يوسف لغزو مدينة سجلماسة وكانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب المنبات، وكان يغمراسن يبعث اليها في كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وجباية خراجها مع المنبات الذين قاموا بأمرها فسار أمير المسلمين أبو يوسف اليها في جيوش بني مرين وقبائل العرب، فحاصرها وشرع في قتالها، وضيق عليها وبالغ في حربها، ونصب عليها المجانيق والرعادات، وضاق أهلها من شدة الحصار والقتال، فكانوا يصعدون على الأسوار فيسبون ويلعنون بالقبيح، فهتك المنجنيق من صور لها برجا ومسافة فانهدا البرج والمسافة، فدخلتها [2] من هناك عنوة بالسيف على عاملها عبد الملك بن حنيفة العبد الوادي فقتل هو ومن كان معه بها من بني عبد الواد وعرب المنبات، وكان فتحها يوم الجمعة ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وقيل كان

[1] – ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:278.

[2] - هكذا بالمتن، ولعل الصواب " فدخلت "كما في الذخيرة **ينظر**: هامش رقم07، محمود بوعياد، المرجع السابق، ص:239.

فتحها آخر يوم من سفر من السنة المذكورة فآمن أمير المسلمين أهلها، وعفا عنهم وأصلح أحوالهم وأقام بها أياما حتى تهدنت أحوازها وأوديتها وتأمنت سلبها[1].

أما في الذخيرة فقد جاء الخبر نفسه مطولا نذكره، برغم طوله، لأنه يؤكد تطابق الكتابين في طريقة سرد الأحداث " سار أمير المسلمين الى فتح سجلماسة من مراكش، وذلك في شوال من سنة اثنين وسبعين، فسار الى تادلا، ثم الى سجلماسة، وكانت سلجماسة في يد يغمراسن بن زيان، وعرب المنبات، القائمين بها بدعوة يغمراسن المذكور.

فكان يغمراسن يبعث اليها من كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وحمايتها، وضبط خراجها، فسار أمير المسلمين أبو يوسف...من العام المذكور. [2]

سادسا: أسلوب الكتابين

وبناء على ما تقدم فان الأسلوب ايضا سيكون في الكتابين متطابق الى حد ما لذلك سنتحدث على الكتابين دون الفصل بينهما مع ذكر الفرق إذا كان موجودا، لقد كان لثقافة ابن أبي زرع الدينية أثرها على أسلوبه في الكتابة، تجلى ذلك من خلال توظيف الكثير من المفردات القرآنية في التعبير عن أفكاره، فيقول في مقدمة مؤلفه " الحمد لله مصرف الأمور بمشيئته وتدبيره، ومسهل العسير بعونه وتيسيره، ومبدع الأشياء وباسط الرزق بتقديره، أحمده حمدا معترف بذنوبه ومقر بتقصيره "[3].

---

[1] - ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص:225.

[2] - يستطرد محمد بن عياد في مقالته، من أثارنا المغمورة، بعد هذا المثال بقوله " إذا استثنينا بعض المعلومات الثانوية وحذفنا بعض الإضافات التي لا أهمية لها كالبيتين الشعريين، فان هذا الخبر نسخة طبق الأصل من الخبر السابق المنقول من روض القرطاس، نحن نرى أنه لا توجد معلومات ثانوية ولا إضافات لا أهمية لها في نص الذخيرة، بل بالعكس النص ذا جودة عالية فاق من خلالها نص روض القرطاس.

[3] – ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:12.

وتظهر دراسة الكتابين تأثر المؤلف بمن سبقه من المؤرخين والرواد الذين ينقل عنهم فيقول عن نسب بني مرين " وقال المؤرخ لأيامهم عفا الله عنه عن ذكر الفقيه الكاتب البارع أبو علي المليانى رحمه الله في نسبهم ما نذكره ان شاء الله ونقلته من تقييد بخطه "

ومما يميز أسلوبه البساطة والسهولة وتنوع العبارات التي تصل أحيانا أعلى درجات الجودة من حيث أخبار المفردة في مواضع كثيرة خاصة في الذخيرة السنية، ولقد وصف أسلوبه بأنه أسلوب فقيه أو عدل متوسط المعرفة بعلوم اللغة، وعباراته تختلف باختلاف المؤلفين والرواد الذين ينقل عنهم ولا ينسب إليهم كلامهم في أغلب الحالات، فلهذا يوجد في هذه العبارات البليغ والمتوسط والركيك [1]

وزيادة على ذلك، فقد شاع في أسلوبه الكثير من التعابير البلاغية كالسجع والتشبيه والكناية خاصة في الذخيرة السنية فيقول "... فولجوا المغرب من ذلك الباب بالخيل والإبل والمراكب والقباب في جيوش كالسيل، أو الليل، أو النمل، أو الجراد المنتشر "[2]

والأسلوب لدى ابن أبي زرع، بعيد عن التكلف تشيع فيه المفردات والعبارات المتداولة عند العامة كما يميز أسلوبه، خصوصا إبان العصر المريني، بظاهرة المدح، والثناء على السلاطين اذ يقول في مدح السلطان أبي سعيد عثمان(710-731هـ-1325-1364م): " أما بعد، أطال الله بقاء مولانا الخليفة الامام معلي الاسلام ورافعه مذل الكفر وقامعه تاج العدل وناشره وماحي الظلام وهاتكه ملك الزمان وسراج السلام والإمام أمير المسلمين أبو سعيد عثمان "[3].

[1] – ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:08.

[2] - ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص:26.

[3] - ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:12.

طريقة ابن أبي زرع في كتابة الأنيس المطرب والذخيرة:

كان الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة، تعبيرا أدبيا عن شعور الجماعة، ولقد عبرت المجتمعات التي تكون العالم الاسلامي كافة عن الرباط الوثيق، الذي يربط الناس بمكان مولدهم، ومع أن كثير من التواريخ المحلية في الإسلام، نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية [1]

وقد ازداد الاتجاه في العالم الاسلامي، نحو هذا النوع من الكتابة بصفة خاصة، بعد أن أخذت اللامركزية تمزق دولة الخلافة الإسلامية، وتعزل الأمصار بعضها عن بعض، وتدفع شعوبها الى الاستقلال عن عاصمة الخلافة، بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على يد التتار سنة (656هـ-1258م).

جاء هذا النوع من الكتابة، بعد أن فرض الواقع السياسي الاستقلال لكثير من الدول، عن الخلافة الاسلامية، فقد فرض هذا الواقع أيضا على المؤرخين أن يكتبوا عن هذه الدولة المستقلة، ولنا في هذا أمثلة كثيرة، من بينها، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (كان حيا712هـ-1312م)، وكتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد على المراكشي (581هـ-647هـ/1186-1250م)، وكتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، لأبي زكريا يحي بن خلدون (737-780هـ/1338-1376م). [2]

أشار ابن أبي زرع في مقدمة كتابيه، إلى المنهج الذي اتبعه فيهما، فيقول متحدثا عن الشخصيات التي تناولها في مؤلفه "وأذكرهم أميرا بعد أمير، وملكا بعد ملك، وخليفة بعد خليفة، وأمة بعد أمة على حسب تواليهم في اعصارهم ومراتبهم في دولهم وأزمانهم كما وقع في الزمان "[3]، وهو منهج تعاقبي يتناول أفعال الأمراء والملوك، ووقائعهم البطولية حسب تسلسلها التاريخي، عبر الدول

[1] - فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403 هـ-1983م، ص:206.

[2] – هؤلاء المؤرخين كانو قريبي العهد، بمؤرخنا ابن أبي زرع، وكان لهم السبق في كتابة التاريخ المحلي للمغرب الاسلامي، لكن من جهة أخرى يمكن اعتبار ابن أبي زرع، أول من كتب في تاريخ المغرب الأقصى.

[3] - ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:13، وأيضا الذخيرة السنية، ص: 27

التي حكمت المغرب، من نهاية القرن الأول إلى بداية القرن الثامن الهجري، والذي يمكن أن نسميه أيضا تاريخ الدول والسلالات المالكة، وهي من الحقوق التي كان يخولها الملوك المسلمون لأنفسهم، بأن تدوّن أعمالهم ومآثرهم في التواريخ الرسمية، لأنهم كانوا يرتاحون لقراءة ما يمجدهم، ويخلد ذكرهم ولأن ذلك من شأنه أن يرفع منزلتهم، لا في نظر شعوبهم فحسب، ولكن في نظر الأمم الأجنبية أيضا[1].

على أنه ينبغي التمييز بين المؤرخين، الذين يكلفهم السلطان رسميا، بتحرير سجلات أعمالهم فيزودهم بالتوجيهات اللائقة ويغدق عليهم الصلات، في مختلف المناسبات وبين أمثالهم ممن يقدمون من تلقاء أنفسهم على الكتابة، ويهدون مؤلفاتهم للسلطان [2]، هذا المنهج التعاقبي، وإن كان يخالف طريقة الحوليات، التي سار عليها كبار المؤرخين المسلمين في العصر الوسيط [3]، وهي نفسها طريقة إبن عذارى في معالجة الأحداث التاريخية، حيث يؤرخ للأحداث على السنين، كما ذكر في مقدمة كتابه " وذلك على مرور السنين الى عام667هـ "[4]،

هذا المؤلف[5]عاصر ابن أبي زرع، وكتب تاريخا موسعا في جملته لأقطار المغرب الثلاثة والأندلس ممهدا لذلك بمقدمات عن حركات الفتوحات الإسلامية، وأطوارها وقادتها والصراعات والثورات التي

---

[1] - ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص:48

[2] - المؤرخون الرسميين إن صحت هذه التسمية، يستطيعون عادة أن يحصلوا على المعلومات فيتسنى لهم أن يدرجوا في تواليفهم قوائم كاملة لأسماء الموظفين السامين من وزراء وكتاب وقضاة، وأخبار الانتصارات والفتوحات وعدد العساكر، ونحن عادة نميل إلى الثقة بالكتابات التي يدونونها عندما تكون الأسرة الحاكمة في أوجها، – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص:50

[3] - في هذا المنهج، كانت مختلف الحوادث تدون في كل سنة، بعناوين خاصة مثل " في سنة كذا " أو " ثم جاء في سنة كذا " ،وكان علماء المسلمين يوضحون الصلة بين الحوادث المتعددة التي تحدث في السنة نفسها، بإضافة هذه الجملة، " وفيها–أي السنة نفسها–"، وكان المؤلف هو الذي يقرر مدى التفاصيل في وصف الحوادث، نجد ذلك في المقتطفات من تاريخ محمد بن موسى الخوارزمي، وكذلك في تاريخ الطبري، وحمزة الأصفهاني وغيرهم، **ينظر** عبد العليم عبد الرحمان خضر، المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، 1415هـ-1995م، ص:203 .

[4] – ابن عذارى، المصدر السابق، ص:5.

[5] – الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، مرا: عبد الوهاب ابن منصور، ج4، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1419هـ-1998م، ص:284

قام بها المتمردون والمتنبئون والبرغواطيون، كما كتب عن المدن التاريخية كنكور وتيهرت وسجلماسة وغيرها، فالمؤرخان اللذان عاشا في دولة بني مرين، يجتمعان في كونهما من منطقة واحدة وفي عصر واحد لكنهما يختلفان منهاجا وثقافة واطلاعا واهتماما بالأشياء والبقاع والشخصيات، وبالتتبع والإستقصاء لما هو معروف لحد الآن من آثار هذين المؤرخين المغربيين، فإننا لا نعلم أن أحدهما اطلع على ما كتبه الآخر أو استفاد منه بوجه من الوجوه.

كما أن اعتمادهما على المصادر[1] كان مختلفا، فابن عذاري، اعتمد على مصادر أوسع من مصادر ابن أبي زرع، بحيث كانت متنوعة أندلسية وقيروانية، ويظهر أن ابن عذاري كان مهتما بالناحية الأدبية لبلاده، ولعله اقتبس هذا الاهتمام من شيخه محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي[2]، بخلاف ابن أبي زرع فإنه كان مهتما في غالب فصول كتابه بالناحية التاريخية، سواء منها ما تعلق بالدول أو بأعلام العلماء المشهورين في تاريخ المغرب عموما وتاريخ فاس خصوصا.

أما ابن أبي زرع فقد اختار المنهج التعاقبي، فجاءت مادته متسلسلة، متدرجة من الماضي الى الحاضر، ونلمس ذلك بشكل واضح في أنساب الأعلام فهي أيضا متسلسلة متعاقبة الى آخر حلقة من السلسلة العائلية، ولعل التعاقب على مستوى الأنساب هو مرجع التعاقب على مستوى الأحداث التاريخية، لأن التاريخ العربي القديم كان تاريخ الأنساب، لا تاريخ أحداث ووقائع، وبذلك كانت هذه الأنساب، ذاكرة المؤرخين العرب الوسطيون، التي استقوا منها مادتهم ومنهجهم في

1- كانت مصادره كثيرة فيها المفقودة والمطبوعة و غيرها، ومنها كتاب المقباس في أخبر المغرب والاندلس وفاس لأبي مروان الوراق، وكتاب الحجّاب للخلفاء بالأندلس لعيسى بن موسى الرازي القرطبي، وكتاب تاريخ إفريقية و المغرب للرقيق القيرواني، وكتاب **أخبار المهدي بن تومرت** للبيذق، أما من المشرق فنقل عن الواقدي من كتابه التاريخ الكبير، وكتاب عجائب البلاد والزمن لأبي الحسن المسعودي، ينظر، محمد علي دبور، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، المقال بعنوان: منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره في البيان المغرب ، كلية دار العلوم ، القاهرة، العدد:21، 1428هـ-2007م، ص:168

2-محمد بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الأنصاري الأوسي المراكشي، الإمام العلامة الأديب الفقيه المقرئ المؤرخ الحافظ قاضي الجماعة بمراكش، من جملة شيوخه أبو زكريا ابن ابي عتيق، ولد ليلة الأحد عاشر ذي الحجة سنة 634هـ، وتوفي 703هـ، ألف كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة وأخذ عنه أبو جعفر ابن صفوان، **ينظر**، العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حلّ مراكش من الأعلام، المصدر السابق، ص:331

التاريخ، ومن الأمثلة على ذلك خبر نسب الدولة المرينية، في الأنيس المطرب والذخيرة السنية فقال عنهم " فخذ من زناته، وهم من ولد مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجريح بن فاتن بن يدر بن عبد الله بن رتيب بن المعز بن إبراهيم ببن سجيع بن واسين بن يصليتن بن مشري بن زاكيا بن وريسك بن نزات بنجانا بن يحي بن تمزيت بن ضريس بن زجيج بن مادغيس الأبتر ابن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان "[1]

يرى محمد الظريف [2]، أنه بالإضافة إلى هذا المعلم من معالم منهجية المؤلف، تأتي الإقليمية في الدرجة الثانية، وتبدو واضحة من خلال العنوان، فالكتاب إلى جانب كونه أخبارا لملوك المغرب، هو تاريخ لمدينة فاس [3]، ولعل فكرة كتابة تاريخ المغرب، وحده في عصوره الاسلامية، إنما شاهدت طريقها إلى الظهور في عصر دولة بني مرين، بعد انهيار الخلافة الإسلامية الموحدية، وتمزق الوحدة التي كانت تمثلها، وظهورها في شكل أربع وحدات سياسية إقليمية خاصة، فهناك دولة بني الأحمر في غرناطة، ودولة بني حفص في تونس، وبني عبد الواد في تلمسان، ودولة بن مرين في فاس [4]

وزيادة على ذلك أظهر عناية في تراجم الامراء والسلاطين، مركزا على الاوصاف الجسمية لهم، كأن يقول في أوصاف إدريس الثاني (ت 213هـ-828م) "كان أبيض اللون مشوبا بحمرة، أكحل أجعد تام القد...فصيحا بليغا أديبا." [5]، وبهذا يكون قد عاد بنا إلى طريقة المؤرخين الأوائل في الدولة الإسلامية، حينما كانوا يصفون الشخصيات المهمة وصفا جسمانيا.

---

[1]- ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص-ص:278-279، -محمد الظريف، طريقة التأليف عند المؤرخين المغاربة في العصر الوسيط، نموذج: الأنيس المطرب، مجلة تاريخ المغرب لعلي بن أبي زرع الفاسي، الدار البيضاء، العدد الثالث، ص:86

[2]-محمد الظريف، حاصل على دكتوراه في الأدب العربي من جامعة محمد الخامس بالرباط، له عدة مؤلفات في مجال الدراسات الأدبية والتاريخية والدينية، إلى جانب عدد مهم من المقالات، كما حقق عدد من الكتب، -ماء العينين بن العتيق الرحلة المعينية، 1938، تق وتح: محمد الظريف، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م

[3] - محمد الظريف، طريقة التأليف عند المغاربة في العصر الوسيط، ص:85

[4] - عبد القادر زمامة، في تحليل مصادر تاريخنا ابن أبي زرع، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، السنة الرابعة، العدد الثامن عشر، 1400هـ-1980م، ص:289

[5] - ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص:25

كما رأيناه يجمع بين المنهج التعاقبي والمنهج الحولي، بحيث التزم بسرد أحداث عصره فرتب أخباره على السنوات، إلى جانب ذلك الكتاب لم يخلو من بعض القصص والاساطير غير المعقولة، التي لم تذكرها مصادر أخرى مثلا، كذكره لحادثة دفن عبد المؤمن الموحدي لأحد أشياخ الدولة، بحيث ترك الناقة تختار موضع الدفن. [1]

أسلوبه ولغته:

ألف ابن أبي زرع الانيس المطرب في دولة بني مرين، تلك الدولة التي يعد عصرها من العصور الذهبية، لما ازدهر فيها من حركات علمية وأدبية وفنية، أثمرت و أينعت ثمرتها،[2] ولكنه لم يكن (على ما يظهر) بالعالم المتفوق في علوم اللسان، وإنما استطاع أن يجمع كتابا من عدة كتب، فأفاد حيث أغلب تلك المؤلفات أصبح في حيز العدم، وجاء أسلوب كتابه يتباين في كثير من فقراته، إذ تصادف الفقرة البليغة فترتاح لانسجامها، ولكن لا تسير قليلا حتى تجد الجمل التي تساهل قائلها في تركيبها، فجاءت مضطربة المبنى قلقة التركيب، غير مرتكزة اللفظ، بعيدة عن الأسلوب الفصيح[3] يقول سعيد حجي[4]، أن ابن أبي زرع قد صرح في كتابه: أن مصادره هي كتب التاريخ المعتمد على صحتها، والرجوع اليها، سوى ما رواه عن أشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب وقيده عن الرواة الثقات و الأنجاب ويرى أيضا أنه، من سوء الحظ، ألا يعثر على كتاب آخر له يحيل القارئ عليه في بعض المناسبات يسميه " **زهرة البستان في أخبار الزمان وذكر الموجود مما وقع الوجود**"، والذي يظهر أنه كان عالميا أو بالأصح يتناول شيئا من تاريخ الممالك الاسلامية الغير مغربية ولكن من يدري فلعل

[1] - ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص:200

[2] -- محمد المنوني، عن الحياة العلمية في الدولة المرينية، ورقات عن حضارة المرينيين، ط3 مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1420هـ-2000م

[3] - عبد القادر الإدريسي، المرجع السابق، ص:108

[4] - ولد سعيد حجي في 11ربيع الأول سنة 1330هـ الموافق للخميس 29 فبراير 1912 من الرعيل الأول في صفوف الكتلة الوطنية المغربية، أخذ المبادئ الأولية في مسقط رأسه سلا، وبعدها رحل الى المشرق العربي، فدرس في القاهرة وسوريا على عدة شيوخ وبعد عودته الى المغرب اتجهت همته لتعاطي مهنة الصحافة، أسس جريدة المغرب، توفي في 1942، -عبد الرؤوف حجي، سعيد حجي فجر الصحافة الوطنية المغربية، يومية الاعلام العربي، لافال، كندة،2007م، ص-ص:37-473.

هذا الكتاب، المهم ملقى في زاوية من مكتبة خاصة بالمغرب، حيث لا تعرف قيمته [1]، أما عبد الله كنون، فله رأي أخر، بحيث يقول: " نحن لا نذهب، مذهب الذين وصفو أسلوبه بالهلهلة وألفاظه بعدم الفصاحة، وإذا وقع شيء من ذلك في كتابه فانه يرجع الى خلاف النصوص وتباين الذين نقل عنهم، من المؤرخين في صياغة الكلام، ومما يدل على سلامة ذوقه الأدبي، هذه الاسماء التي يتخيرها لكتبه فيوازن بين سجعاتها ويتخيل فيها تخيلا شعريا جميلا كاسم الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، واسم أزهار البستان في أخبار الزمان. [2]

إلى جانب أسلوبه في الكتابة، هناك مادته اللغوية التي لا تعتبر غزيرة ولكنها دقيقة وسهلة الفهم فهو يأخذ الكلمات في سهولة ودون تكلف، من غير تعمق وأحيانا يفضل الكلمة المستعملة في عصره ولو كانت غير فصيحة، لأنها في نظره أدق في التعبير عن المعنى وأفيد لمن لا يعرف غيرها من القراء، ولهذا فإن لغة ابن أبي زرع تصلح مادة لدراسة اللغة التي كانت مستعملة في التعبير الكتابي والشفوي في مدينته على عهد بني مرين، فهي عند التأمل تبدو بين بين، ليست راقية وليست منحطة ومع ذلك سهلة ومرنة.[3]

كما لاحظنا وجود مادة لغوية جديدة يدخلها ابن أبي زرع في كتابه، بحيث يستعمل كلمات خاصة بالمغرب، مثل كلمة المحلة فيقول " فتكون محلة الأندلس محلة واحدة "[4]، ويقول في موضع آخر "ولم يكن في عمل من بلادهم خراج ولا معونة والتقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر."[5] وهنا استعمل كلمة المخزن التي كانت حديثة الظهور في المغرب الأقصى، ونجده أيضا يستعمل كلمة الكراع التي تعني الخيل والسلاح.

[1] - سعيد حجي، المرجع السابق، ص:110.

[2] - عبد الله كنون، المرجع السابق، ص:484.

[3] -عبد القادر زمامة، المرجع السابق ص:292.

[4]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:146.

[5] - نفسه، ص:167.

وبهذا نكون قد وصلنا في نهاية هذا المبحث إلى حقيقة مهمة، تتعلق بمؤرخنا ابن أبي زرع وهي أنه مثّل استمرارية طبيعية للكتابة التاريخية في الدولة الإسلامية، حيث انتقل من المنهج الحولي، إلى المنهج التعاقبي أو تاريخ الدول والسلالات، وهذا طبعا تماشيا مع روح عصره، ليترك للأجيال من بعده ذخيرة علمية لا يستهان بها، كما أنه لم يفوت على نفسه الفرصة، باستغلال المنهج الحولي، عندما تعرض لسرد الأحداث التي تعاقبت في الدول التي تحدث عنها.

مصادر ابن أبي زرع

حدد ابن أبي زرع في كتابه، المصادر التي استقى منها معلوماته وبذلك يكون قد قام بعمل مشابه لمناهج البحث الحديثة، وأول شيئ استوقفنا في دراستنا لهذه المصادر، هو تكرار جملة، قال المؤلف الكاتب، وقال المؤلف رحمه الله، وقال المؤلف للكتاب، وقال المؤلف عفا الله عنه، وقال المؤلف لهذا التاريخ...إلخ، وبعد الإمعان في التفكير في هذه المسألة، لا يمكن لأي مؤلف أن يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب، لذلك فإن هذه الجمل قد تكون لناسخي الكتاب.

لاحظنا على ابن أبي زرع أنه، انتقائي في اختيار مصادره فأخذ في موضوع إثبات النسب من المؤرخين النسابة، والمثال على ذلك أنه استعان بالهمذاني في كتابه الاكليل حيث قال: "ذكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني صاحب كتاب الاكليل في الدولة الحميرية أن لمتونة فخذ من صنهاجة، وصنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير." [1] واستعان أيضا في الانساب بأبو عبيدة وابن الكلبي والزبير بن بكار [2]، وداوود بن القاسم الاوربي وابن جنون وأبي علي المليانى.

1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص:119

2- الحافظ النسابة، قاضي مكة وعالمها أبو عبد الله بن أبي بكر بكار بنعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الاسدي، وهو مصنف كتاب نسب قريش توفي سنة 256هـ، –الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ص:312

أما في حديثه عن الدول التي سبقته، أخذ عن المؤرخين الذين عاصروا تلك الدول، فيقول مثلا "رأي بعض المؤرخين لأيامهم"، كما استعان بكتاب المقباس لعبد الملك الوراق، الذي يؤرخ لأخبار المغرب والأندلس وفاس. [1]

كما أنه استعان بالجغرافيين أمثال البكري، [2] أبو محمد الهمذاني [3]، كما كان في كتابه نصيب أيضا للشعر والشعراء، من أمثال شاعر المرينيين، أبو فارس الملزوزي [4]، حيث نقل جزءا من أرجوزته في الانيس المطرب وفي الذخيرة السنية.

وفي الأخير، هناك بعض المؤرخين نقل عنهم ابن أبي زرع، لكن مؤلفاتهم أصبحت في حكم المفقود ولم نجد في تراجم العلماء أثرا لهم، مثل أبو علي المليانى، وابن غالب وأبو عبيدة والبرنسي.

1- هو أبو مروان بن عبد الملك بن موسى الوراق، مؤرخ مغربي من علام مدينة فاس، كان حيا سنة 555هـ-1160م كما يتضح ذلك من نص نقله كل من الجزنائي وابن ابي زرع، نقل عنه أيضا صاحب مفاخر البربر وسماه المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس، –أنور محمد زناني، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، زهران للنشر، القاهرة، د: س، ص:141

2- أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الاندلسي، توفي سنة 487هـ-1094مو الارجح 496هـ مؤرخ جغرافي له معرفة بالنبات ونسبته إلى بكر بن وائل له كتاب المسالك والممالك، **ينظر**، الزركلي، الاعلام، مج:4، ص:98

3- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني، ولد سنة 280هـ هو توفي بعد 336هـ، من جغرافي جزيرة العرب، كان شاعرا وله إحاطة بعلم الفلك والحكمة والفلسفة والكيمياء، من مؤلفاته، الاكليل يروي فيه أخبار العرب والامم السابقة وله أيضا سرائر الحكمة، –، أحمد العلاونة، نظرات في كتاب الاعلام، ط:1، المكتب الاسلامي، بيروت،1464هـ-2003م، ص: 47

4- أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان الملزوزي المكناسي، ولد في مكناس، شاعر ومؤرخ مغربي يعتبر من أعظم شعراء العصر المريني، وكان شاعر أبو يحي بن عبد الحق، فكان الملزوزي يخلط العربية والزناتية وهو من قبيلة ملزوزة الامازيغية في إقليم طرابلس، وقد مات في السجن سنة 697هـ-1298م، –عبد الوهاب بن منصور، تصدير كتاب نظم السلوك للملزوزي، المطبعة الملكية، الرباط،1382هـ-1963م، ص:12

الخاتمة

من خلال فصلي الدراسة اللذان شملا مختلف جوانب الموضوع الرئيسية والثانوية توصلنا الى جملة من الاستنتاجات كانت بمثابة إجابة على إشكالية البحث ومختلف التساؤلات التي تتمحور حول ابن أبي زرع ومنهجيته في الكتابة التاريخية، فقد ارتأينا تقديمها كالتالي:

– إن الوضع السياسي الذي عاشه ابن أبي زرع الذي كتب عنه الكثير سواء في كتابه "**الأنيس المطرب** " أو "**الذخيرة السنّية**" تعلق بما ما كان بين بني عبد الواد والمرينيين، وقد أثّ هذا الوضع إلى حد كبير في الحياة العلمية والثقافية للعديد من المؤرخين ومن بينهم ابن أبي زرع، أما العلاقات المرينية الحفصية ظلّت طيبة يسودها الود، وازدادت ارتباطا عندما تزوج السلطان المريني من إحدى بنات أبي بكر الحفصي، إلاّ أن هذا الود انتهى مع وفاة السلطان الحفصي أبي يحي، حيث تدخل السلطان أبو الحســـن في تونس، ومن ثم تتوترت العلاقة بينهما، ولذلك نجد أن الوجه العام للعلاقات بين تلك الدويلات الثلاثة أو حتى مع مملكة غرناطة بالأندلس اتســـمت بطابع العداء حينا والهدوء والترقب والخوف حينا آخر.

– كان لجهود المرابطـــين والموحدين في مجالي الثـــقافة والعلم باع في ذلك وخلفوا ورائهم تراث كبير، الأمر الذّي أتاح للمرينـــيين أن حـــصدوا هذه الثـــمار، و بذلك انطلقت الحيـــاة الفكرية في عهدهم إلى أفاق أوسع أتاحت لهم المزيد من النضوج في هذا المجال، ولذلك نجد سلاطين بني مرين قد دعموا انطلاق هذه الحياة الفكرية في عهدهم، واحتضـنوا في مجالسـهم العلماء والفقهاء على اختلاف مســـتوياتهم وآرائهم وأفكارهم احتراما منهم لحرية الفكر، أما الوضـــع الديني والمذهبي فكان المذهب المالكي السـائد في العصـر الذي عاش فيه ابن أبي زرع وكان من منتحلي هذا المذهب بدليل تمجيده للســـلاطين الحاملين له في عديد المواطن في كتابيه " **الأنيس المطرب**" و"**الذخيرة الســـنية**"، وظهر العديد من المؤرخين الذين أرخوا للدولة المرينية وعاصـــروا ابن أبي زرع، و نبغوا في مجالات كثيرة منها التاريخ والسير والرحلات كابن عذارى صاحب "**البيان المغرب**" والجزنائي صاحب "**زهرة الآس**" وابن خلدون في مؤلفه "**العـــبر**" ولســـان الدين ابن الخطيب في "**الإحاطة**".

– لقد شـــهد القرن الســـابع للهجري، انتعاش في الحركة العلمية والثقافية، ولا ســـيما في المغرب الأقصى حيث برز علماء وفقهاء ومؤرخون، ومن بين هؤلاء نجد ابن أبي زرع الفاسي الذي مثلّ تراث حي، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ المغرب وبخاصة مدينة فاس.

– إنّ الاهتمام الكبير بالعلماء من طرف ســـلاطين بني مرين وتقريبهم منهم ومن مجالســـهم، ومنحهم مناصب هامة في الدولة، واستشارهم في أمورهم وحضور حلقات دروسهم، سيما في فترة حكم السلطان أبي الحسن المريني مكنّ لابن ابي زرع بأن يحضى بمكانة مميزة داخل البلاط المريني، وهو ما دفع ابن أبي زرع لذكر الأحوال الخاصة بالسلاطين والجانب السياسي، في اغفل الحديث عن الحياة الثقافية التي يمكن استخلاصها من المؤرخين المعاصرين له حيث يقول ابن خلدون :"كان السلطان أبو الحسن لدينه وسرواته وبعد شأوته في الفضل يتشوق إلى تنويه مجلسه بالعلماء واختار منهم جماعته لمصاحبته ومجالسته.

– يعود ازدهار الحياة الثقافية في العصر المريني لمجموعة من النشاطات العلمية والفكرية التي أثرت فها، و مازاد ذلك هو التواصـــل الفكري بين الدولة المرينية وغيرها من الأقطار الاخرى وقد أبرزته بوضـــوح تلك الرحلات العلمية لعلماء الدولة المرينية والدول الأخرى، والتنقل بين العواصـــم للإنتهال والتحصـــيل والتدريس، وما نتج عنها من حوار فكري ومناظرات علمية هامة، بين أجلة العلماء للخروج بالعلوم من قوقعتها المحلية إلى الخوض في مختلف العلوم.

– أما شخصية ابن أبي زرع فإن الجدل القائم حوله يدعونا إلى أن نقر أنّه من الصعب أن نذكر له تاريخ لولادته أو شيئا عن نشأته أو شيئا عن أسرته وإن أول ما يعترضنا فيما يتعلق بترجمته هو الخلاف الواقع في اسمه، إذ اجمع أهل العلم المعاصرين شرقيين ومستشرقين وعموم المثقـــــــفين، على هذه النسبة على أن نسبة كتاب الأنيس تعـــود إلى ابن أبي زرع، فما يذكر أحد منهم كتاب القرطاس إلا مقروناً باسم ابن أبي زرع، وجاء ذكره أيضا في دليل المؤرخ في المغرب الأقصى باسم أبي الحسن علي بن أبي زرع، لقد تأرجحت مواصفات المؤلفين والمؤرخين حول شخصية ابن أبي زرع الفاسي، ولا

نستطيع ترجيح قول مؤلف عن الآخر، وذلك بسبب ضياع ترجمته فمنهم من وصفه بصاحب السر الباهر وعدّه من الثقات والفقهاء، وآخرون عدّوه من العوام الذّين لم يرقوا إلى مســـتوى العلماء في زمانهم.

– إنّ القيمة التاريخية لكتابي ابن أبي زرع قد تجلت في سدّه لثغرة كبيرة في تاريخ المغرب خاصة إذا اعتبرناه أنه التاريخ الوحيد لدولة الأدارســـة والمرابطين والموحدين وأوائل المرينيين وبهذا يكون قد غطّى فترة زمنية تنيف عن خمسة قرون ونصف.

– والجدير بالذكر انه اقتصر في تاريخه على المغرب الأقصى بحدوده المعروفة ولم يفعل ما فعله غيره كصـــاحب "**المعجب**" وابن عذارى في "**البيان المغرب**" وأغرب من هذا أنه افتتح تأريخه بالكلام عن الدولة الإدريسية مباشرة من غير تقديم أو تمهيد ولا الحديث عن عصر الولاة.

– أما الأسلوب الإنشائي فقد طغى على كتاباته وفي طريقة تناوله للمواضيع في مواضع كثيرة من كتابيه وسادت اللغة العربية الفصحى كتابيه، ماعدا بعض الكلمات العامية المغربية رغبة منه للإيضاح ومما يمكنه استنتاجه من خلال كتابيه أيضا عطفه الزائد وميله العظيم وحبّه الراسخ نحو ملوك بني مرين ومدينة فاس وفيما يخص من مدى صحة نسبة كتاب الذخيرة له فنذكر على سبيل الذكر لا الحصر التشابه الكبير بين مواضيع التي تناولها في كتابيه "**الأنيس**" و"**الذخيرة**" على السواء فمثلا الأوصاف الخلقية والخلقية لملوك بني مرين نفســـها في كلا الكتابين بالا ضـــافة إلى الحوادث وذكرها فلا تكاد تختلف لا في كثير ولا قليل.وبالنســـبة عن الذخيرة فنجده امتاز بالتوســـع في حكاية بعض الأخبار المتعلقة ببني مرين لأنّ الكتاب كونه أصـلا خاصـا بهم وذلك ظاهر في عنوان الكتاب على أنّه لم يخلو من ذكر بعض الممالك الإسلامية في المشرق وبعض علمائها.

– إنّ كتابي الأنيس والذخيرة يعدّان من ذخائر مخزوننا العلمي الكبير الذّي لا زال يحتاج إلى دراسة، فهذا المحتوى العظيم يمكنه أن يفيد العالم الإسلامي ويبرهن أنّ عصورنا الوسطى لم تكن مظلمة بالجهل بل على العكس.

– إنّ الحقيقة المهمة التي تتعلق بمؤرخنا هي انّه مثّل اســـتمرارية طبيعة الكتابة التاريخية في تاريخ الدول الإسـلامية، بحيث انتقل من المنهج الحولي إلى المنهج التعاقبي أو تاريخ الدول والسـلالات وهذا طبعا تماشـيا مع عصـره، كما أنّه لم يفوت اسـتغلاله للمنهج الحولي عندما تعرض لسـرد الأحداث التي تعلقت على الدول التي تعرض لها.

الملاحق

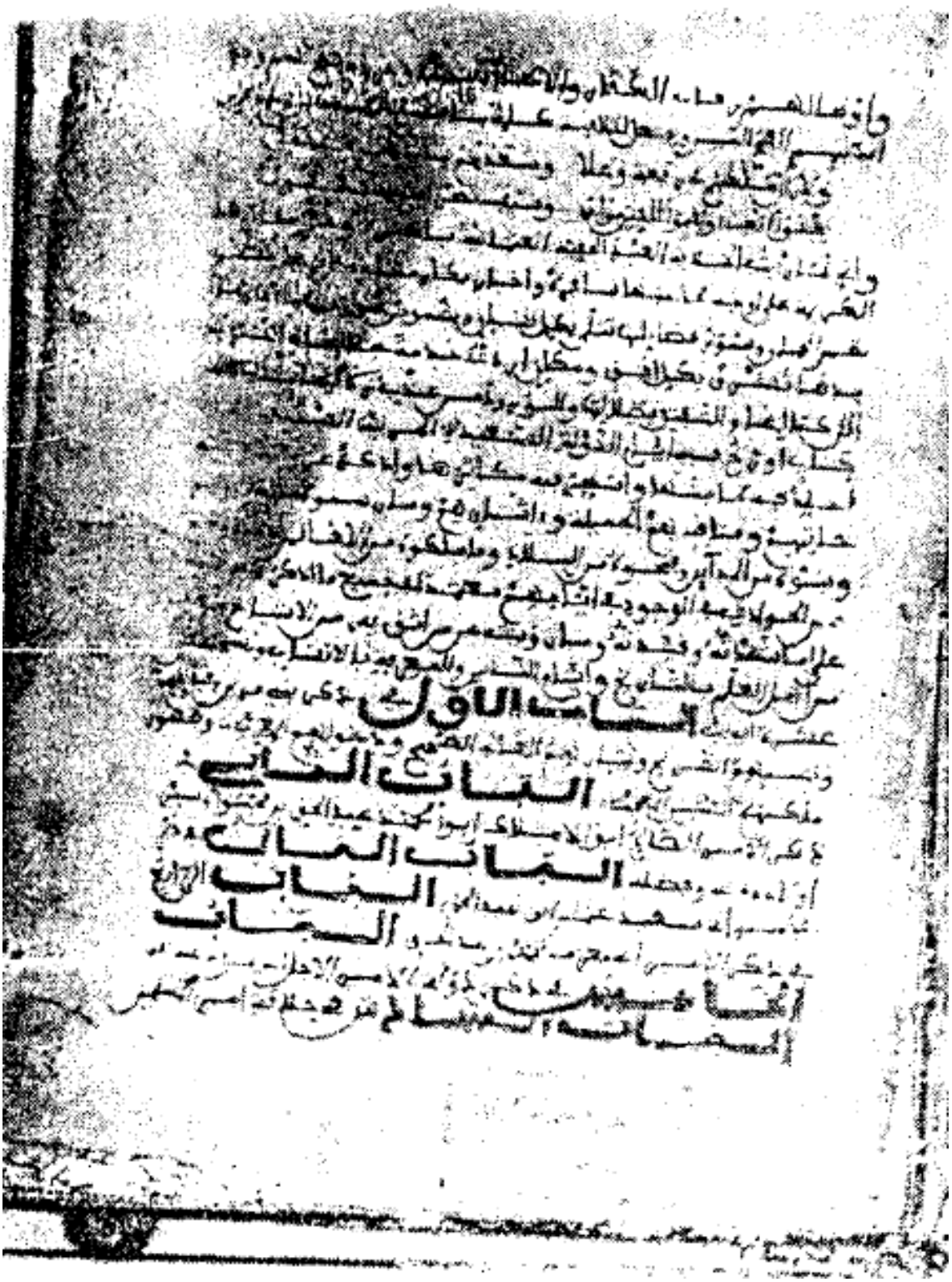

صورة 01 من مخطوط الذخيرة السنية لابن ابي زرع الفاسي

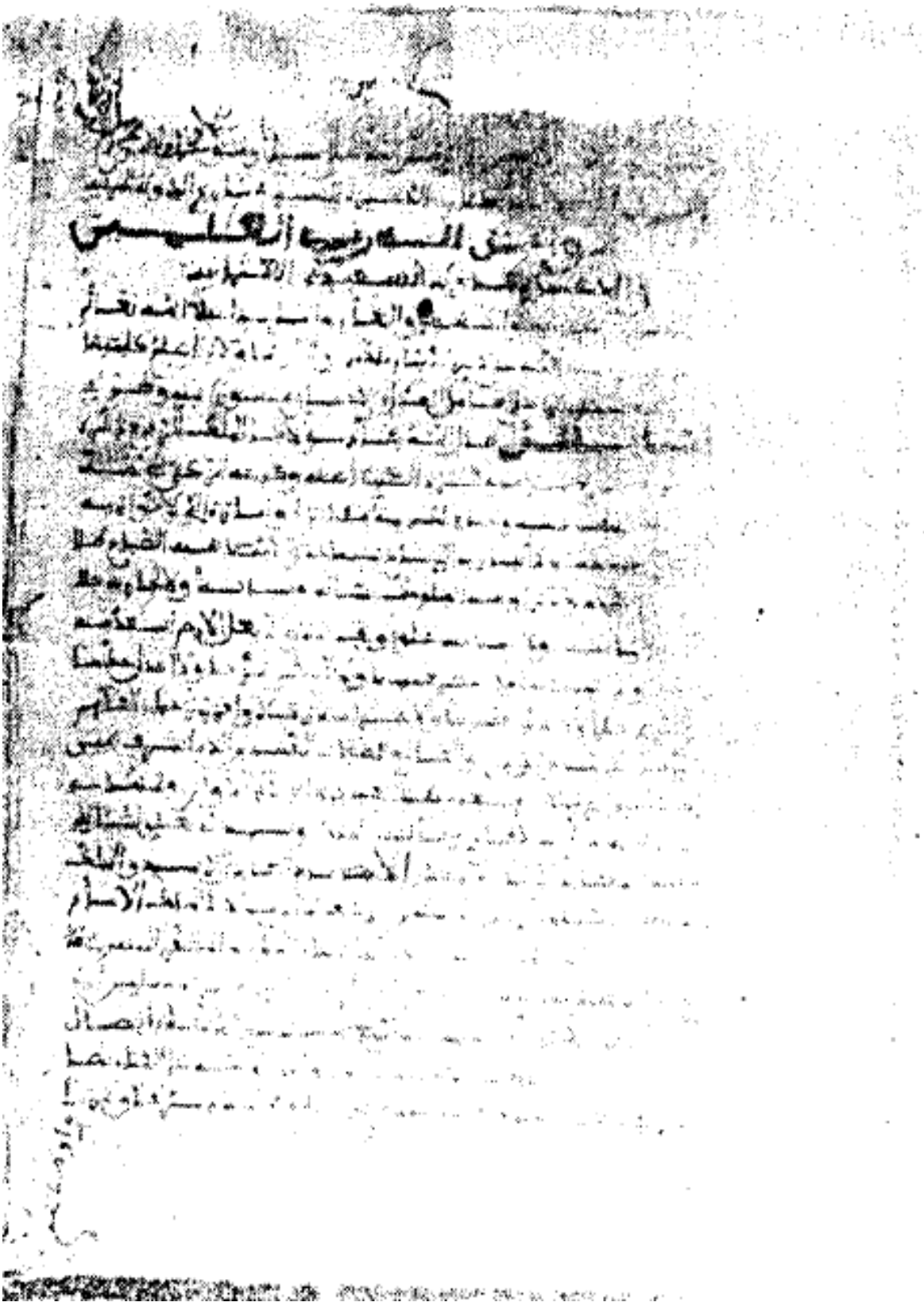

صورة 02 من مخطوط الذخيرة السنية لابن ابي زرع الفاسي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1) –ابن أبي زرع الفاسـي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

2) – // // ، الذخيرة السـنية في تاريخ الدولة المرينية، مقدمة الكتاب، الرباط، 1972، ط:2.

3) –ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، مج:1، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1407هـ-1987م).

4) –ابن الأحمر اسماعيل، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

5) –ابن الخطيب لســـان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، مج1.

6) –ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1421هـ/2000م) ج:7.

7) –ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة سيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903.

8) –ابن عذارى المراكشـي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، ط:3 تح ومر: ج، س، كولان و أ. ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب ودار الثقافة، بيروت، 1983م.

9) –الادريســـي، نزهة المشـــتاق في اختراق الآفاق، أو عبد الله، محمد بن محمد الحســـيني، (ت560هـ/1164م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1989م.

10) –البكري أبو عبد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المســـالك والممالك، الجزائر، نشر دي سلان.

11) –التمبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحفيظ عبد الله الهرمه، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، ج:01و02، د ط.

12) –التنسي أبو عبد الله محمد، كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان، تح: محمد بوعياد، الجزائر.

13) -الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصـــور، ط:2، (1411هـ-1991م)، المطبعة الملكية، الرباط.

14) -الحموي ياقوت، معجم البلدان، بيروت دار صادر، د ط، 1404هـ/1984م، مج:04.

15) -الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت د، ط، 1

16) -الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب أرنؤوط وعلي أبو زيد، ج:13، ط:9، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1413هـ-1993م).

17) -الســـملالي العباس بن إبراهيم، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1993، ج1.

18) -الســنوســي علي الخطابي، الدرر الســنية في أخبار الســلالة الإدريســية، مطبعة الشــباب مصر،1349

19) -العسـقلاني شـهاب الدين احمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: سـيد جاد الحق لا ب: دار الكتب الحديث مطبعة اليمني، 1966، ج:05

20) -الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشـــيخات والمســـلســـلات، باعتناء: إحســـان عباس، ج:1: ط:2، دار الغرب الاســـلامي، بيروت، (1402هـ/1982م).

21) -الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس، ســلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: محمد حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الحجرية، فاس.

22) -المراكشـــي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، (1326هـ/2005م).

23) -المقري احمد بن محمد، نفح الطيب من غصـن الاندلس الرطيب، تح: احسـان عباس، دار صادر، بيروت، (1408هـ/1988م).

24) -اليعقوبي احمد بن يعقوب بن واضح، البدان، ط:03، النجف، المطبعة الحيدرية، 1957

25) -مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، دار الشؤون الثقافية، 1987.

قائمة المصادر والمراجع:

- **قائمة المراجع:**

26) –ابن سـودة عبد السـلام بن عبد القادر، دليل مؤرخ المغرب الأقصـى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (1418هـ/1997م)، بيروت، لبنان.

27) –ابن منصـور عبد الوهاب، تصـدير كتاب نظم السـلوك للملزوزي، المطبعة الملكية، الرباط، (1382هـ-1963م).

28) –الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)، (869هـ/1465م)، كلية الآداب، جامعة المنصور، صنعاء، دار القلم، الكويت ط:2، صاء في أخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج:3.

29) –الحصري ساطع، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1961م

30) –الخضـيري زينب، فلسـفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة والنشـر والتوزيع، القاهرة، (1409هـ-1989م).

31) –الخطابي علي السنوسي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب مصر.

32) –الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داوود، الأخبار الطوال، تص: فلاديمير جرجاس، ط:1، مطبعة مربل، لندن: 1888م.

33) –الزركلي خير الدين، الأعلام، ج:4، ص:5، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.

34) –السلاوي الناصر، الاستقاء إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشادة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، د، ط،2000 ج:1.

35) –السـلمي محمد بن صـامل، منهج كتابة التاريخ الاسـلامي، ط:1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1429هـ

36) –العبادي احمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس.1760 الاسكندرية ص: 196

37) –العلاونة أحمد، نظرات في كتاب الاعلام، ط:1، المكتب الاسـلامي، بيروت، (1464هـ-2003م)

38) –ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم تر: عبد الرحمن بدوي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1969.

39) –المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، ط:3 مطبعة النجاح، الدار البيضاء، (1420هـ-2000م).

40) –الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج: 2،1986.

41) –بروفنسال ليفي، مؤرخو الشرفاء، تعريب: عبد القادر الخلادي، دار المغرب، الرباط، (1397هـ-1977م).

42) –جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج:2، تر: محمد مزالي وبشرى سلامة، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969

43) –حجي عبد الرؤوف، سعيد حجي فجر الصحافة الوطنية المغربية، يومية الاعلام العربي، لافال، كندة،2007م.

44) –حجي محمد، موسوعة اعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، ج:2، نقلا عن وفيات الونشريسي لأحمد بن يحي الونشريسي، ولقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد، لأحمد بن القاضي.

45) –حركات إبراهيم، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب في عهد بني مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ع:2، الرباط 1977

46) –خضر عبد العليم عبد الرحمان، المسلمون وكتابة التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، (1415هـ-1995م).

47) –دنون طه عبد الواحد، المصادر في تاريخ المغرب والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

48) –روبار بنشفيك، نقله الى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1988م، ج: 01.

قائمة المصادر والمراجع:

49) -روزنثال فرانز، علم التأريخ عند المسلمين، تر: صالح أحمد العلي ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1403هـ-1983م).

50) -زناني أنور محمد، دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، زهران للنشر، القاهرة، د: س.

51) -طليمات عبد القادر أحمد، ابن الأثير الجزري المؤرخ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر،1969م.

52) -عامر أحمد عبد المحسن، دولة بني مرين: تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية، 2003

53) -عثمان حسن، منهج البحث التاريخي، ط:8، دار المعارض، القاهرة، د: س.

54) -فروخ عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط: 4، دار العلم للملايين، بيروت،1973م.

55) -كنون عبد الله، دراسات في تاريخ وحضارات المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004.

56) -كنون عبد الله، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، مركز التراث الثقافي والمغربي، ط:1، (1430هـ، 2010م)، الدار البيضاء، المغرب، دار ابن حزم، بيروت.

57) -ماء العينين بن العتيق الرحلة المعينية، تقديم وتحقيق، محمد الظريف، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2004م

قائمة المجلات والدوريات والرسائل الجامعية:

58) -الإدريسي عبد القادر، مجلة دعوة الحق، عنوان المقال: البدايات الاولى لإحياء التراث المغربي.

59) -الاعرجي نضال مؤيد مال الله عز الدين، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، (685هـ706هـ/1286م/1306م)، دراسة سياسية حديثة، جامعة الموصل، 1425هـ/2004م.

60) -الظريف محمد، مجلة تاريخ المغرب، طريقة التأليف عند المغاربة في العصر الوسيط.

61) –.....، مجلة تاريخ المغرب، عنوان المقال: طريقة التأليف عند المؤرخين المغاربة في العصر الوسيط، نموذج: الأنيس المطرب، لعلي بن أبي زرع الفاسي، الدار البيضاء، ع:03

62) –الفاسي أحمد، نشأة الدولة المرينية، مجلة البيّنة، ع: 1962. –بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، 2008.

63) –بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، إشراف: مبخوت بوداودية، جامعة تلمسان: قسم التاريخ، 2007–2008.

64) –بوعياد محمود، مجلة الأصالة، من آثارنا المغمورة، السنة الأولى، ع: الرابع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2012م.

65) –حجي سعيد، مجلة دعوة الحق، عنوان المقال: البدايات الأولى لإحياء التراث بالمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، السنة، ع: 23، (1402هـ-1982م).

66) –حجي عبد الرؤوف، حجي سعيد، فجر الصحافة الوطنية المغربية، يومية الاعلام العربي، لافال، كندة،2007م

67) –دبوز محمد علي، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، المقال بعنوان: منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره في البيان المغرب، كلية دار العلوم، القاهرة، العدد:21، 1428هـ-2007م.

68) –زمامة عبد القادر، مجلة المناهل، المقال بعنوان: في تحليل مصادر تاريخنا ابن أبي زرع وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، السنة الرابعة، العدد الثامن عشر، (1400هـ-1980م).

69) –يشي طارق، مجلة كان التاريخية، رؤية جديدة في تاريخ التأسيس ودلالات التسمية، دار الناشر للنشر الإلكتروني، الكويت، السنة الثامنة، ع: 28.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

ابراهيم بن عبد الرحمن التاسولي، 26.

ابن الأثير، 09، 10.

ابن البناء، 30، 40، 42.

ابن الجوزي، 08.

ابن الحاجب، 26.

ابن الفحام، 34.

ابن الكلبي، 70.

ابن خلدون، 07، 10، 11، 12، 15، 18، 19، 20، 21، 22، 24، 27، 28، 33، 37، 40، 45.

ابن عذارى المراكشي، 27، 31، 56، 63، 65.

ابن هشام، 26.

أبو الحسن، 26، 27، 28، 30، 31، 32، 34.

أبو العباس احمد شعيب، 30.

أبو حمو موسى الأول، 20، 21.

أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام، 26.

أبو عبد الله الرندي، 29، 29.

أبو عبد الله القشتالي، 26.

أبو عبد الله بن عبد السلام، 26.

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني، 30، 34.

أبو عبد الله محمد بن يحي بن علي بن النجار التلمساني، 31، 34.

أبو عبيدة البرنسي، 70، 71.

أبو علي المليانى، 54، 70، 71.

أبو عمران العبدوسي، 28.

أبو عنان فارس المتوكل، 16، 25، 31، 31.

أبو يعقوب بن عبد الحق، 32.

أبي الحسن الخطيب بن مرزوق، 26، 27.

أبي العباس احمد، 38.

أبي تاشفين، 21.

أبي دبوس، 61، 62.

أبي سعيد عثمان بن عبد الحق، 18، 20، 32، 46، 49، 50، 54، 59، 60، 61.

فهرس الأعلام

أبي يحي بن ابي بكر، 18، 19، 22.

أبي عثمان سعيد العقباني، 35.

أبي محمد بن عبد الحق بن محيو، 49، 52.

أبي موسى بن الإمام، 34.

أبي يحي بن عبد الحق، 60.

أبي يوسف يعقوب، 31، 32، 34.

احمد بابا التمبكتي، 29.

أحمد بم محمد بن علي التجيبي السبتي، 30.

أحمد بن الحسن الجزولي،47.

أحمد بن القاضي، 37.

أحمد بن حزب الله الخزرجي العبادي، 29.

أحمد زروق، 40، 42، 43.

إدريس الثاني، 57، 58، 67.

إسماعيل بن الأحمر،27 ،48.

الأفراني، 47.

الإمام إدريس الحسني، 41، 51.

بتسد ولكروا، 46.

البخاري، 26.

جوزي دوسانتو، 46.

الحلبي، 38.

داوود بن القاسم الأوربي، 70.

الزبير بن بكار، 70.

زكريا بن أبي بكر، 47.

الزياني،38.

زيري بن عطية الغراوي، 46.

سعيد حجي،68.

السلطان أبي ثابت، 21، 60.

سليمان بن عبد الله بن يوسف، 50، 60.

صالح بن عبد الحليم، 37، 45.

الطبري، 08، 09.

عامر بن عبد الله بن يعقوب، 49، 60.

عبد الرحمن بن عفان الجزولي، 26، 28.

عبد السلام القادري، 38.

عبد العزيز الملزوزي المكناسي، 29، 70.

عبد الله بن ياسين، 57.

عبد الله كنون، 37، 38، 41، 49، 68.

عبد الملك الاوسي المراكشي، 65.

عبد الملك الوراق، 70.

عبد الملك بن حنيفة العبد الوادي، 53.

عبد المؤمن بن علي، 31، 67.

العبدري،27.

علي الجزنائي، 27، 38، 46.

عيسى بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن الحاجي، 47.

ك.ج طونبرج، 47.

كوند، 47.

لسان الدين بن الخطيب، 27، 38، 41، 45.

مالك بن مرحل السبتي، 29.

محمد الظريف، 66.

محمد بن ادريس بن عبد الحق، 60.

محمد بن الحسن اليحصبي، 34.

محمد بن الحسن بن احمد بن يعقوب، 70.

محمد بن جعفر الكتاني، 45.

محمد بن شنب، 48، 49، 50.

محمود بوعياد، 62.

المراكشي عبد الواحد، 61، 63.

مسلم،26.

مصباح بن عبد الله اليالصوتي، 26، 28.

المقري، 31، 34، 38، 46.

موسى بن ابي العافية، 42.

موسى بن محمد الجماري، 47.

الناصري،38.

يحي بن خلدون، 57، 64.

يعقوب المنصور، 29، 31.

يعقوب بن عبد الحق، 49، 56، 57، 59، 60.

يغمراسن بن زيان، 17، 19، 20، 21، 29، 52، 53، 61، 62.

يغمراسن بن زيان، 52، 53، 61، 62.

يوسف بن عبد الحق، 20، 21.

يوسف بن عمران الأنفاسي، 28.

يوسف بن يعقوب، 16، 20، 21، 49، 52، 53، 62.

فهرس الأماكن والقبائل

الأدارسة، 55، 59، 41.

افريقية، 19، 26، 28، 29، 31.

أكسفورد، 47، 48.

الاندلس، 15، 16، 17، 22، 23، 24، 27، 29، 30، 31، 32، 43، 47، 48، 56، 60، 63، 64، 68، 70.

الأندلسيون،22.

باريس، 47.

بجاية، 23.

البربر، 23.

البرغواطيون، 65.

بنو الأحمر، 17، 18، 67.

بنو حفص، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 66.

بنو زيان، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 29، 38،61.

بنو عبد الواد، 17، 19، 21، 22، 53، 67.

بني مرين، 48، 49، 51، 52، 54، 60، 62، 65، 66، 68.

بونة، 23.

تادلا،53.

التتار، 63.

تلمسان، 17، 19، 20، 21، 22، 30، 31، 33، 34، 41، 49، 52، 57، 61، 66.

تمبكتو، 47.

تونس، 22، 23، 42، 67.

جربة، 22.

الرباط، 48.

الروم، 23.

زناتة، 17، 60،57،19،18.

الزيانيون، 52.

سجلماسة، 21، 52، 53، 64.

سلا، 48.

السودان الغربي، 17، 21.

السويد، 47.

صنهاجة، 70.

طرابلس، 22.

طريف، 22، 36، 39.

العرب، 23، 52، 66.

العقاب، 16، 61.

غرناطة، 16، 17، 18، 38، 67.

الغز، 23.

فاس، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31 ،32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 45، 47، 55، 56، 58، 70.

الفرنج،23.

فرنسا، 48.

لشبونة، 47.

لمتونة، 70.

المرابطون، 23، 51، 55، 56، 57.

مراكش، 15، 20، 22، 31، 53، 61.

المرينيون، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 51، 55.

المسلمون،46، 50، 52، 53، 54، 61، 64.

المشرق الاسلامي، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43.

المغراويون، 55.

المغرب، 19، 22، 23، 24، 27، 30، 31، 32، 33، 34، 37، 38، 40، 41، 42، 45، 46، 47، 48، 51، 52، 54، 55، 56، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 68، 69، 70.

المغرب الأقصى، 18، 21، 22، 24، 27، 31، 32، 33، 34، 38، 40، 41، 69.

المغرب الإسلامي، 15، 18، 23، 32، 34.

المنصورة، 21.

الموحدون، 15، 16، 17، 18، 19، 22، 23، 24، 25، 26، 31، 32، 36، 38، 40، 51، 55، 56، 57، 60، 61.

الموحدون،23، 55، 56، 57، 60، 61.

واد تلاغ، 20.

وادي سبو، 58.

وليلي،58.

اليفرنيون، 55.

اليهود، 23.

فهرس المحويات

إهداء.....

شكروعرفان.....

قائمة المختصرات .....

مقدمة ..... أ،د

مدخل: مناهج الكتابة التاريخية عند المسلمين (02هـ -08هـ / 08م -14م).....05

الفصل الأول: **عصر ابن أبي زرع الفاسي وترجمته** 13

أولا: عصر ابن أبي زرع الفاسي 15

الوضع السياسي 15

الوضع الاجتماعي..... 22

الوضع الثقافي 24

ثانيا: ترجمة ابن أبي زرع 35

مولده 35

الخلاف حول اسمه 35

أسرته 37

مذهبه.....38

ثالثا: سيرته العلمية.....39

تعليمه وأثاره.....39

صفاته العلمية.....39

مكانته العلمية 41

الفصل الثاني: منهجية الكتابة من خلال مؤلفات ابن أبي زرع 42

أولا: تقديم لمؤلفات ابن أبي زرع 44

تقديم لكتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس..... 44

كتاب الذخيرة السنيّة في تاريخ الدولة المرينية..... 47

ثانيا: محتويات الأنيس المطرب والذخيرة السنية 50

محتويات الأنيس المطرب.....50

محتويات الذخيرة السنية.....55

أوجه الشبه بين الأنيس المطرب والذخيرة السنية.....59

ثالثا: طريقة ابن أبي زرع في كتابة الأنيس والذخيرة 64

أسلوبه ولغته 68

مصادر ابن أبي زرع.....70

خاتمة 72

الملاحق.....77

قائمة المصادر والمراجع 80

الفهارس 87

فهرس الأعلام.....88

فهرس الأماكن 92

فهرس المحتويات.....96